قراءة نقدية لإشكالات مخطوط "سير علماء الإباضية"

بن دريسو مصطفى بن محمد

خطيب بمسجد بني يزقن، أستاذ بجامعة غرداية، الجزائر

قراءة نقدية لإشكالات مخطوط سير "علماء الإباضية"

بن دريسو مصطفى بن مُحَمَّد بن صالح

أستاذ بجامعة غرداية، الجزائر

الطبعة الثانية

العنوان: قراءة نقدية لإشكالات مخطوط "سير علماء الإباضية"

المؤلف: بن دريسو مصطفى بن محمد - أستاذ بجامعة غرداية (الجزائر)

المقاس: 24x17 سم

الصفحات: 112 صفحة

البريد الإلكتروني: mustapha_bendrissou@yahoo.fr

ردمك: ISBN 978-9931-496-37-3

الإيداع القانوني: جوان 2020

طبع في: مطبعة شريف . م (الآفاق)
شارع ممر القافلة أمام ثانوية مفدي زكرياء
بني يزقن - غرداية - الجزائر
هاتف / فاكس: 020 72 36 71
النقال: 0658 03 92 07
horizonprint47@gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

يأتي اختياري لعنوان هذا البحث: "قراءة نقدية لإشكالات مخطوط سير علماء الإباضية" بناء على ظهور بعض الكتب الضخمة على الساحة العلمية، تضم عناوين جزئية متقاربة لها نفس الصفة تدعى "سير علماء الإباضية".

وهذه السير تتحدث عن جانب مهم من الحياة السياسة والدينية والاجتماعية للمجتمعات الإباضية، سواء ما كان منسوبا إلى الأوائل من علماء عمان، وهم الغالب، أو ما نسب إلى المتأخرين منهم، وهم قلة، والأقل من ذلك ما كان حول أهل المغرب.

وأرغب من بحثي أن أسلط الضوء على هذه السير، بهدف البحث عن نسبة السير إلى أهلها، وتمحيص القول في هذا الشأن، ولأجل تحقيق المقصد قمت بقراءة متأنية في مضامين هذه السير المتعددة، وشرحت بعض محتوياتها، وقارنت النصوص ببعضها، وكنت في كل عرضي باحثا عن نقطة الالتقاء بين عنوان السيرة ومضمونها.. وفي حال أني لم أجدها أشير إلى هشاشة العلاقة بينهما، وأفترض ما أراه مناسبا في صحة نسبة السيرة لصاحبها المذكور في العنوان، وقد أذهب بعيدا في التحليل والافتراض بناء على المؤشرات والمعطيات التي أجدها أمامي، واستنادا على التجرد في البحث العلمي، لأصوغ استنتاجات أرجو أن تكون موضوعية وغير عاطفية.

هذا؛ وقد سلكت في بحثي طريقة تتبع كل السير الواردة في المجموعة، ولم أستثن

غير بعضها، واخترت أن أضع أمام كل سيرة الملاحظات التي تنتاب أي قارئ متفحص ومتتبع لكل حيثيات ترابط النص مع العنوان، كما أضع الافتراضات التي تناسب عرض النص مع عصره. ولا يخفى عليك أيها القارئ ما يمكن أن يظهره التتبع لكل السير من أعراض تكرار الافتراضات والاستنتاجات بين سيرة وأخرى، لكن عزائي في هذا الاختيار أن أثبت صحة فرضيتي عند قراءة كل سيرة مستقلة عن أختها، وأن أخرج من منهج تحميل النصوص ما لا تحتمل إن جمعتها في قوالب جاهزة[1]، وفي عرض مسترسل قد يخدم قناعات الباحث ورؤيته للموضوع، ولكن قد لا يفيد في تقديم صورة حقيقية لأصول نصوص السير في وضعيتها الأولى وعند تأليفها. وفي سبيل تحقيق المبتغى اتبعت الخطة المشتملة على العناصر التالية:

أولا: قراءة في عناوين السير الواردة في كتاب "السير والجوابات".

ثانيا: قراءة في كتاب "سير علماء الإباضية"، النسخة السَّيفية العمانية.

ثالثا: قراءة في كتاب "مجموع من أثار ذوي الألباب"، نسخة مكتبة الشيخ لعلي، ببني يزقن.

---

1) لم أشأ أن أختار العرض وفق استخلاص العوامل المشتركة بين نصوص بعض السير، كأن يكون العرض كالتالي:

1- التشابه في الديباجة.

2- ظاهرة النقل من كتب التاريخ.

3- الأحداث الغامضة، والأسماء المجهولة. مع عرض نماذج من النصوص الغامضة والمبتورة.

4- المنهج العقدي السائد في السير. وقراءة في المنهج المعتمد في عرض قضية الولاية والبراءة.

5- المنهج الفقهي الوارد في السير.

6- تفسير بعض عبارات النقل الواردة في السير: "أخبرني"، "بلغني"، وغيرهما.

7- المواءمة بين أسلوب السير والعصر الذي تنتمي إليه.

8- مقارنة طبيعة الأسلوب الوارد بين السير المشرقية والمغربية.

رابعا: ملاحظات حول تاريخ نسخ النسخة العتيقة العمانية لكتاب "سير علماء الإباضية".

كما أشير إلى أني اعتمدت في إثبات تواريخ الأعلام على معجم أعلام الإباضية؛ قسم المشرق أو قسم المغرب.

ومقصدي في الأخير من هذا العمل هو توجيه الباحثين والمحققين إلى عدم غض الطرف عن الإشكالات التي تعترضهم أثناء دراسة المصادر الإسلامية الأولى، وتحميلهم مسؤولية التحري بجهد كبير في نسبة الكتب إلى أصحابها، وتوظيف عبارة "الكتاب منسوب إلى فلان"، عوض قولهم: "الكتاب من تأليف فلان".. وأتصور بهذا الصنيع سيقلل المسلمون من تحكيم نصوص الوحي إلى كتب تراثية منسوبة إلى الأوائل، في حين أنها من تأليف المتأخرين، ويتمكنوا أيضا من فهم السر في نصاعة نصوص الوحي الداعية إلى الأخوة والاعتصام (والوحدة)، ويستوعبوا ما يجدونه مبثوثا في كتب تراث أسلافهم الأولين من صعوبة قبول أفكار غيرهم، وبخاصة ما تعلق بالقضايا العقدية والمواقف التاريخية بين المسلمين.. في حين أن الدارس المتفحص للتراث الإسلامي بعين بصيرة، وبنظرة فاحصة لا ترمي إلى تمجيد مسلم على آخر، ولا جماعة على أخرى، فضلا عن طائفة أو مذهب أو منهج متبع على غيره، سيجد أن أغلب ما نسب إلى الأسلاف محل نظر ومراجعة، لأنه قد هُذِّب وحُوِّر من قبل المتأخرين في عصر الصراع الشديد بينهم (بداية من القرن الثامن الهجري)، ثم جاء الدارسون المعاصرون فنسبوا العمل المنقح والمزيد فيه إلى الأوائل من غير تمحيص بين الأصل والإضافة، فصعب بذلك إيجاد نقطة التلاقي والحوار بين المسلمين؛ سنة، وشيعة، وإباضية. ونحسب أن هذا العمل

إن شاء الله يقدم لبنة في هذا المضمار الشائك، ويحاول أن يبرئ السلف مما لم يدوّنوه، ولا يحملهم مسؤولية ما لم يثبت أنه من تأليفهم الخاص.

والله نسأل التوفيق والسداد، وهو ولي ذلك والقادر، وناصر كلمة الحق بإذنه تعالى.

بني يزقن، الجزائر: 14سبتمبر 2019

أولا: قراءة في عناوين السير الواردة في كتاب السير والجوابات

حظيت مجموعة من السير العمانية بالطباعة والتحقيق منذ سنة 1986م، وذلك من خلال مبادرة محمودة من الباحثة المصرية "سيدة إسماعيل كاشف"، التي سعت إلى إخراج جزء من هذه السير وطباعتها باسم: "السير والجوابات"، ويمكن أن نرصد مجموعة ملاحظات على العناوين الواردة في هذا المجموع[1]، نظرا لما يظهر فيها من الإبهام وعدم الوضوح في الغالب، ومما نذكره كأمثلة ما يأتي:

1- توجد عناوين سير تنسب إلى أصحابها بصيغة التمريض والشك، مثل: "سيرة **تنسب** إلى أبي قحطان خالد بن قحطان (أوائل ق 4هـ/ 10 م)"[2].

2- بعض العناوين المدرجة مع السير، هي عبارة عن كتب مستقلة مشتهرة النسبة إلى أصحابها، وألحق بها لفظة "كتاب"، ويظهر هذا فيما يأتي:

"**كتاب** الأحداث والصفات، تأليف أبي المؤثر (ت: 278هـ/ 891م)"[3].

"**كتاب** البيان والبرهان رد على من قال بالشاهدين، تأليف أبي المؤثر رحمه الله، من نسخة معروضة على أبي الحواري (أوائل ق 4هـ/ 10م)"[4].

---

1) لم أختر الحديث عن محتوى السير الواردة في الكتاب، لأن هذا العمل المطبوع يعد جزءا من المخطوطات المكتشفة في السير، وأرجأت التحدث عن مضامين السير إلى تحليل مخطوطة "سير علماء الإباضية"، النسخة السَّيفية العمانية، ومخطوطة "مجموع من أثار ذوي الألباب"، نسخة مكتبة الشيخ لعلي، وهذا تفاديا للتكرار.

2) علماء وأيمة عمان: السير والجوابات، 1/ 86 – 154.

3) علماء وأيمة عمان: السير والجوابات، 1/ 23 – 85.

4) علماء وأيمة عمان: السير والجوابات، 1/ 155 – 185.

"**فصل** في المحاربة"[1]، وغالب الظن أنه فصل من "كتاب المحاربة"، لأبي المنذر بشير بن المنذر (ت: 178هـ/ 794م).

"**كتاب الموازنة** عن الشيخ العالم أبي مُحَمَّد عبد الله بن مُحَمَّد بن بركة العماني البهلوي رحمه الله (ق: 4هـ/ 10م)"[2].

3- في بعض العناوين لا نجد تفسيرا للفظة "السيرة" إلا بأنها "رسالة" لاحتوائها على المرسِل والمرسَل إليه، ومن العناوين التي يمكن أن نرصدها ما يأتي:

"سيرة لبعض فقهاء المسلمين **إلى** الإمام الصلت بن مالك رحمه الله (ت: 275هـ/ 888م)"[3].

"سيرة منير بن النير الجعلاني (حي في: 237هـ/ 851م) **إلى** الإمام غسان بن عبد الله (ت: 207هـ/ 822م)"[4].

"سيرة من أبي المؤثر الصلت بن خميس **إلى** أبي جابر مُحَمَّد بن جعفر(حي في: 277هـ/ 890م)"[5].

"سيرة محبوب بن الرحيل (ت: أواخر القرن 2هـ/ 9م) **إلى** أهل عمان في أمر هارون بن اليمان (حي في: 226هـ/ 840م)"[6].

---

1) علماء وأيمة عمان: السير والجوابات، 2/ 24 – 29.

2) علماء وأيمة عمان: السير والجوابات، 2/ 384 – 420.

3) علماء وأيمة عمان: السير والجوابات، 1/ 186 – 232.

4) علماء وأيمة عمان: السير والجوابات، 1/ 233 – 253. ورد هذا العنوان في "سير علماء الإباضية" النسخة السيفية باسم "كتاب"، ص 75.

5) علماء وأيمة عمان: السير والجوابات، 1/ 256- 275.

6) علماء وأيمة عمان: السير والجوابات، 1/ 276- 307.

"سيرة محبوب بن الرحيل **إلى** أهل حضرموت في أمر هارون بن اليمان"[1].

سيرة هارون بن اليمان **إلى** الإمام المهنَّا بن جيفر (ت:237هـ/ 851م) في شأن محبوب بن الرحيل"[2].

"سيرة أبي الحواري مُحَمَّد بن الحواري العماني **إلى** أهل حضرموت"[3].

"سيرة من الإمام أبي زكرياء يحي ين سعيد رحمه الله (ت: 472هـ/ 1079م) **إلى** أبي عبد الله مُحَمَّد بن طالوت النخلي(ق: 5هـ/ 11م)"[4].

"سيرة للشيخ هاشم بن غيلان (حي في: 207هـ/ 822م) **إلى** الإمام عبد الملك بن حميد رحمهما الله (ت: 226هـ/ 840م)"[5].

"ومن سيرة أبي عبيدة (ت حوالي: 145هـ/ 762م) **إلى** عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم (ت: 208هـ/ 823م)"[6].

"سيرة عبد الله بن إباض (ت: 86هـ/ 705م) **إلى** عبد الملك بن مروان (ت: 65هـ/ 684م)"[7].

4- بعض السير لم تنسب لصاحبها، وإنما نسبت إلى أهل منطقة معينة، فلا يعلم أهي رسالة جماعية حررها بعض العلماء؟ أم هي رسالة من تأليف شخص

---

1) علماء وأيمة عمان: السير والجوابات، 1/ 308- 324.
2) علماء وأيمة عمان: السير والجوابات، 1/ 325- 337.
3) علماء وأيمة عمان: السير والجوابات، 1/ 338- 365.
4) علماء وأيمة عمان: السير والجوابات، 2/ 30- 35.
5) علماء وأيمة عمان: السير والجوابات، 2/ 36- 38.
6) علماء وأيمة عمان: السير والجوابات، 2/ 320- 324.
7) علماء وأيمة عمان: السير والجوابات، 2/ 325- 345.

نسبها إلى علماء تلك المنطقة والمدينة؟

ومع نفس الملاحظة نجد سيرا موجهة من عالم إلى أهالي مدينة خاصة، ونذكر من أمثلة هذه الملاحظات:

"سيرة لبعض **فقهاء المسلمين** إلى الإمام الصلت بن مالك رحمه الله"[1].

"من آثار **أهل نزوى** جوابا من مُحَمَّد بن الحسن"[2].

"سيرة محبوب بن الرحيل **إلى أهل عمان**، في أمر هارون بن اليمان"[3].

"سيرة محبوب بن الرحيل **إلى أهل حضرموت**، في أمر هارون بن اليمان"[4].

"سيرة أبي الحواري مُحَمَّد بن الحواري العماني **إلى أهل حضرموت**"[5].

5- وردت بعض العناوين دون ذكر أي معلومة عن السيرة؛ سواء كاتبها، أو موضوعها، أو المرسل إليه إن كانت رسالة. وتنطبق هذه الملاحظة على هذه السير.

"سيرة لبعض فقهاء المسلمين"[6].

"سيرة لبعض فقهاء المسلمين"[7].

"سيرة غير منسوبة لأحد، وليست كاملة"[1].

---

1) علماء وأيمة عمان: السير والجوابات، 1/ 186 – 232.

2) علماء وأيمة عمان: السير والجوابات، 1/ 366 – 370.

3) علماء وأيمة عمان: السير والجوابات، 1/ 276- 307.

4) علماء وأيمة عمان: السير والجوابات، 1/ 308- 324.

5) علماء وأيمة عمان: السير والجوابات، 1/ 338- 365.

6) علماء وأيمة عمان: السير والجوابات، 1/ 379- 390.

7) علماء وأيمة عمان: السير والجوابات، 1/ 391- 395.

6- بعض العناوين عبارة عن رسالة يوحي عنوانها بتعاطف ظاهري نحو المرسل، إذ يلحق لصاحبها المذكور في العنوان عبارة رحمه الله بخلاف المرسل إليه، وقد يكون الأمر على العكس، وهذا بيان الأمر:

"**كتاب** البيان والبرهان رد على من قال بالشاهدين، تأليف **أبي المؤثر رحمه الله،** من نسخة معروضة على أبي الحواري"[2].

"سيرة لبعض فقهاء المسلمين إلى **الإمام الصلت بن مالك رحمه الله**"[3].

"شروط شرطها القاضي **أبو عبد الله مُحَمَّد بن عيسى السري رحمه الله** (ت: 501هـ/ 1107م)، على راشد بن علي (حي في: 513هـ/ 1119م) وأصحابه[4].

"جواب من **أبي عبد الله مُحَمَّد بن عيسى رحمه الله،** إلى الإمام راشد بن علي، فيما سأله عن هذه التوبة، وما رد عليه فيها"[5].

7- في أحد العناوين لا نجد دورا لاسم الشخصية الواردة في العنوان، أهو المؤلف؟ أم أنه المجيب عن الأسئلة؟ أم أنه السائل؟ وهذه السيرة هي:

"تعليق في **معنى** عن الشيخ **أبي المنذر سلمة** بن مسلم بن إبراهيم رحمه الله (أواخر ق5، وبداية 6هـ/ 11 - 12م)"[6]. كما يلاحظ أن هذا العنوان اكتفى بذكر جزئية بسيطة "معنى عن الشيخ"، في حين نجد نص السيرة يتعلق بموضوع مهم

---

1) علماء وأيمة عمان: السير والجوابات، 2/ 113- 123.
2) علماء وأيمة عمان: السير والجوابات، 1/ 155 – 185.
3) علماء وأيمة عمان: السير والجوابات، 1/ 186 – 232.
4) علماء وأيمة عمان: السير والجوابات، 1/ 409 – 418.
5) علماء وأيمة عمان: السير والجوابات، 1/ 422 – 426.
6) علماء وأيمة عمان: السير والجوابات، 2/ 39 – 45.

ومحدد ومضبوط، وهذان الأمران يظهران إشكالية صياغة العنوان في أنه لا يتوافق مع المحتوى.

8- بعض العناوين تضم مصطلحات لا يبدو بينها علاقة وطيدة، ولا يمكن للقارئ أن يفهم منها شيئا، حتى وإن اضطر إلى تصفح كامل السيرة. فمثلا لفظة "سيرة السؤال"، لا توحي بمعنى محدد، وهناك عناوين أخرى يصعب إدراك مغزى السيرة من عنوانها، ونذكر نماذج من الحالتين.

"**سيرة السؤال** في الولاية والبراءة لبعض فقهاء المسلمين"[1].

"**سيرة السؤال** عن أبي الحسن علي بن مُحَمَّد البسياني رحمه الله (حي في: 363هـ/ 973م)"[2].

"توبة الإمام راشد بن علي، **عمل** القاضي أبي علي الحسن بن أحمد بن نصر الهجاري (ت: 503هـ/ 1109م)"[3].

9- بعض السير أوردت عناوين فرعية، لكن من دقق فيها سيجد أنه لا صلة بين هذه العناوين الجزئية، وينطبق هذا على سيرتين، هما:

"سيرة عن الشيخ أبي الحسن"[4]، وتضم ثلاثة عناوين جزئية.

"سيرة الشيخ الفقيه أبي المؤثر الصلت بن خميس"[5]، وبها اثنا عشر عنوانا جزئيا.

---

1) علماء وأيمة عمان: السير والجوابات، 1/ 371 – 378.
2) علماء وأيمة عمان: السير والجوابات، 2/ 62 – 105.
3) علماء وأيمة عمان: السير والجوابات، 1/ 419 – 421.
4) علماء وأيمة عمان: السير والجوابات، 2/ 124 – 222.
5) علماء وأيمة عمان: السير والجوابات، 2/ 269 – 319.

10- وردت سيرة منسوبة إلى علماء المغاربة، لكن يبقى عنوانها مبهما كباقي السير، وهي:

"ومن سيرة أبي عبيدة **إلى عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم**، من المشايخ"[1].

11- لقد ذكرنا أغلب عناوين كتاب السير والجوابات فيما سبق من ملاحظات، وإذا أردنا أن نقدم قراءة في العناوين المتبقية، فإننا لا نفلح في إيجاد ترابط بينها، ولا نستطيع أن نستنتج قاعدة مطردة تحكمها، هذه العناوين، هي:

"عن القاضي أبي عبد الله مُحَمَّد بن عيسى رحمه الله، في الفرق بين الإمام العالم وغير العالم"[2].

"عن الشيخ أبي الحسن علي بن مُحَمَّد البسياني في حفص بن راشد (ت: 363هـ/ 973م)، أيام خروجه على المطهر بن عبد الله، وعقده الأول"[3].

"عن القاضي أبي بكر أحمد بن عمر بن أبي جابر المنحي (ت: 552هـ/ 1157م)"[4].

"سيرة عن الشيخ الفقيه وائل بن أيوب رحمه الله (حي في 192هـ/ 807م)"[5].

"سيرة في الرد على مُحَمَّد بن سعيد، وهو جواب الشيخ أبي الحسن"[6].

---

1) علماء وأيمة عمان: السير والجوابات، 2/ 320 – 324.
2) علماء وأيمة عمان: السير والجوابات، 1/ 396 – 408.
3) علماء وأيمة عمان: السير والجوابات، 2/ 05 – 08.
4) علماء وأيمة عمان: السير والجوابات، 2/ 09 – 23.
5) علماء وأيمة عمان: السير والجوابات، 2/ 46 – 61.
6) علماء وأيمة عمان: السير والجوابات، 2/ 106 – 112.

"سيرة الشيخ الفقيه مُحَمَّد بن محبوب رحمه الله (ت: 260هـ/ 873م)"[1].

12- المتتبع للزمن الذي تغطيه هذه السير في الكتاب المطبوع، سيجده زمنا يبدأ من منتصف القرن الثاني الهجري، "حياة محبوب بن الرحيل"[2]، وينتهي إلى القرن السادس الهجري، "حياة الإمام راشد بن علي (حي في 513هـ/ 1119م)"[3].

13- لقد أجريت دراسة مستفيضة حول محتوى سيرتين تنسبان لعالمين عمانيين، هما: محبوب بن الرحيل وهارون بن اليمان[4]، فظهر خلط غريب في المضمون بينهما، مما جعلني أشك في نسبة السيرتين إلى العالمين المذكورين.

نخلص من تتبع العناوين السابقة في كتاب "السير والجوابات" إلى النتائج التالية:

- يضم الكتاب المطبوع عناوين لسير كثيرة، وهذه العناوين لا توحي بالضرورة أن الشخصيات المذكورة في العنوان لها علاقة مباشرة بالمحتوى العام للنص، وذلك نظرا للإشكالات الكثيرة المتضمنة في صياغة عناوين هذه السير.

- يمكن عدُّ السير التي تحمل عناوين واضحة المعنى أنها سير أصلية، بينما التي تحمل عناوين غير واضحة المعنى فهي إما سير تابعة إلى غيرها، أو هي سير صيغت على منوال سير أخرى. مع الإشارة إلى أن كلا النوعين في حاجة إلى تمحيص المحتوى لاكتشاف، هل نصوصهما ترجعان إلى عهد المذكور في العنوان، أم حدث في مضامينهما إضافات وإثراءات عبر الزمن؟

---

1) علماء وأيمة عمان: السير والجوابات، 2/ 223 – 268.

2) انظر: معجم أعلام الإباضية، قسم المشرق، ترجمة 1110.

3) انظر: معجم أعلام الإباضية، قسم المشرق، ترجمة 359.

4) انظر: ابن ادريسو مصطفى: التواصل المعرفي للمعارضة الإباضية في المشرق والمغرب، مجلة المنهاج، العدد 2.

– بناء على أن بعض العناوين الواردة في المطبوع تحمل اسم "السير"، وبناء على أن نفس تلك السير تحمل اسم "كتاب" أو ترد بدون أي لفظة في المخطوط[1]، فإنه يمكن استنتاج أن لفظة "السيرة" لا يقصد بها بالضرورة أن لها دلالة خاصة في التأليف الإباضي[2]، وإنما قد يراد بها أنها سرد لمجموعة أحداث وقعت في أزمنة متعددة، مع تقديم قراءة لبعض المواقف والوقائع ممن نسبت إليه السيرة، وإن كنا نحتمل أنها تأليف من قبل شخص مجهول، وهو ما سنحاول أن نراه فيما يأتي.

---

1) نذكر على سبيل المثال:

ورد في المطبوع: ص 1/ 233، عنوان "**سيرة** منير بن النير الجعلاني إلى الإمام غسان بن عبد الله"، وورد في مخطوط نسخة السيرة السيفية: "**كتاب** منير بن النير الجعلاني إلى الإمام غسان بن عبد الله"، 75.

في المطبوع 2/ 36، "سيرة للشيخ هاشم بن غيلان إلى الإمام عبد الملك بن حميد رحمهما الله"، وورد في مخطوط نسخة السيرة السيفية بدون لفظة السيرة، "هاشم بن غيلان إلى الإمام عبد الملك بن حميد"، 198.

2) بينما نجد الباحث د. عبد الرحمن السالمي يذكر في بحثه القيم أن السير العمانية بمثابة "مصدر تاريخي، وكرافد مهم في الدراسات العمانية والإباضية على السواء، وكجنس أدبي تفرد به هذا الإقليم في جانبه المعرفي، ليشكل بذلك جزءا مهما في الدراسات التاريخية والإيديولوجية لعمان". انظر: عبد الرحمن السالمي، السير العُمانية كجنس أدبي، مجلة نزوى، سلطنة عُمان، العدد 19.

ثانيا: قراءة في كتاب، سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية بعمان

ظهرت على الساحة العلمية مؤخرا مخطوطة في مجلد ضخم تضم 78 سيرة، وتنقسم هذه المخطوطة إلى جزأين كبيرين، وتدعى بالسيرة السَّيفية نسبة إلى السَّيفيِّين في عمان[1]، والمخطوطة تحمل مجموعة هائلة من الإشكالات عند قراءتها بعين المتفحص الدقيق، مما يستدعي ألا نغفل عن استنتاج أجوبة عقلانية (فرضيات) لكل الملاحظات التي ترصد عند قراءة كل سيرة من سيرها على حدة.

ونشير أيضا إلى أنه قد حاولنا في عرضنا أن نجمع بعض الملاحظات في حزم معرفية تسهيلا للاستيعاب وتقريبا للفكرة إلى الأذهان، كما استعننا في بعض تحليلنا بالمقارنة بما ورد في بعض المصادر الموثوقة الصلة إلى أصحابها، مثل: الدرجيني، والبرادي.

ونعتمد في العرض على تسلسل السير في الكتاب الضخم، حسبما يأتي:

1- وجدنا أن بعض السير ما هي إلا نقل حرفي لأحاديث رسول الله ﷺ، أو هي نصوص طويلة منقولة من مصادر معروفة، ونذكر من هذه السير:

- "**سيرة النبي ﷺ كتبها للعلاء بن الحضرمي**"[2]. وهذه السيرة تطابق تماما ما ورد في كتاب الرسول ﷺ إلى العلاء بن الحضرمي حينما بعثه إلى البحرين، لكن مع وجود بعض الملاحظات، مثل:

ما ورد في آخر السيرة لم يرد في نص كتاب الرسول ﷺ[3].

---

1) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، مخطوط مصور، بحوزة جمعية أبي إسحاق بغرداية.

2) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 3.

3) انظر تخريج الحديث: نور الدين الهيثمي: بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث، باب عرض الإسلام

ترد لفظة "السيرة" في عنوان المخطوط دون كتاب الرسول ﷺ، علما أن كتاب الرسول ﷺ يدرج ضمن أحاديث الرسول ﷺ التي رويت عنه، وقد ورد نص الحديث في مصادره، هكذا:

"هَذَا كِتَابُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الْقُرَشِيِّ الْهَاشِمِيِّ رَسُولِ اللهِ وَنَبِيِّهِ إِلَى خَلْقِهِ كَافَّةً لِلْعَلاءِ بْنِ الْحَضْرَمِيِّ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ...". بينما جاء بداية نص السيرة في المخطوطة هكذا:

"هذا كتاب من مُحَمَّد بن عبد الله بن عبد المطلب، القرشي الهاشمي، نبي الله ورسوله إلى خلقه كافة. **سيرة** للعلاء بن الحضرمي ومن معه من المسلمين...".

فيلاحظ أن نص المخطوطة فيها إضافة لفظة "السيرة"، مما يسعفنا أن نؤكد استنتاجنا السابق من أن "السيرة" ليست نمطا خاصا في التأليف، وإنما وظفت في الكتاب الضخم بمعاني متعددة، قد تكون نقلا حرفيا لنص سابق مثلما هو حال السيرة المتعلقة بحديث رسول الله ﷺ.

– يلاحظ أيضا أن السيرة المعنونة بـ: "**وصية الوداع**"[1]، تعد نقلا حرفيا للنص، من مصدر معين[2].

– ونفس الأمر يقال لمحتوى "**رسالة أبي بكر الصديق**"[3]، "**ورسالة عمر بن**

والدعاء إليه، حديث 643.

1) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 6.

2) انظر وصية الوداع في: أبو الليث السمرقندي (373هـ/ 983م): تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين"، بَابُ: الرِّفْقِ، حديث: 898.

3) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 8؛ انظر: عبد الملك بن حسين العصامي المكي (ت: 1111هـ/ 1699م): سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، ص1/ 384.

الخطاب إلى علي بن أبي طالب"[1]، حيث وردتا بالتتابع في نص واحد من كتاب: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد[2]، وفي غيره من الكتب.

– إذا تتبعنا السيرة المعنونة بـ **"جواب من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب"**[3]، فنجدها هي أيضا منقولة حرفيا[4]. ولكن هذه السيرة يحتمل أن تضيف لنا معلومة جديدة عن جامع "سير علماء الإباضية"، ذلك أننا نجد من الذين اعتمدوا هذا الجواب في كتابهم، صاحب كتاب "سمط النجوم"، الذي يحدثنا عن موطن نقله لأصل هذا الجواب، فيقول:

"انتهت الرسالة، وقد نقلتُها من كتاب المسامرة للشيخ الأكبر العارف بربه: سيدي محي الدين بن عربي (ت: 638هـ/ 1240م)"[5].

فيظهر أن الرسالة الواردة في كتاب "سمط النجوم" منقولة من كتاب لابن عربي، ويحتمل أن الذي نقلها إلى كتاب "سير علماء الإباضية" هو أيضا جاء بعد ابن عربي، ومن هنا نحتمل أن جزءا من كتاب "سير علماء الإباضية" جمع بعد القرن السابع الهجري.

– ما قيل عن ظاهرة النقول المباشرة لما سبق، يقال أيضا على سيرة: "**حديث**

---

1) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 11.

2) ابن أبي الحديد (ت: 656هـ/ 1258م): شرح نهج البلاغة، 10/ 272 وما بعده؛ النويري (ت: 721هـ/ 983م): نهاية الأرب في فنون الأدب، 7/ 172؛ العصامي: سمط النجوم، 1/ 386.

3) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 13.

4) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، 10/ 281؛ عبد الملك المكي: سمط النجوم، 1/ 387.

5) ذكر هذه المعلومة بعد أن قدم شرحا لغويا لمفردات الحادثة. انظر: عبد الملك المكي: سمط النجوم، 1/ 392.

علي بن أبي طالب، يوم مات أبو بكر"[1]، وكذا **"عهد أبي بكر الصديق إلى عمر بن الخطاب"**[2]. والقارئ للنصين سيجدهما في كتب التاريخ مع بعض التغييرات الطفيفة في المحتوى[3].

– وكذلك: **"مناظرة المسلمين عبد الله بن عباس"**[4]، وهذه هي ذات المناظرة الواردة في كتاب "الكشف والبيان" للقلهاتي (ق 6هـ/ 12م)[5].

– من النصوص المنقولة حرفيا، ما ورد تحت هذا العنوان: **"كتاب علي بن أبي طالب إلى عبد الله بن عباس، حين أخذ مالا من البصرة، ولحق بالحجاز"**[6]. لكن لم أستطع أن أعثر على من أورد السند للنص كما هو وارد في السيرة، هكذا:

"حدثنا عبد الله بن سعيد بن عفير، قال حدثني أبو سعيد بن عفير، قال عبد الله بن لهيعة بن عقبة الحضرمي، قال: لما هرب عبد الله بن عباس من البصرة بلغ ذلك علي بن أبي طالب، فكتب إليه، أما بعد:".

وإذا لم نستطع أن نعثر على سند كتاب علي بن أبي طالب، فإننا نجد أن نصه

---

1) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 15.

2) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 16.

3) انظر: حديث علي بن أبي طالب لما توفي أبو بكر: مسند البزار، مسند علي بن أبي طالب، رقم الحديث: 928. وأما حديث استخلاف عمر بن الخطاب فينظر: ابن سعد: الطبقات الكبرى، 3/ 207؛ سمط النجوم: 1/ 444.

4) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 24.

5) القلهاتي: الكشف والبيان، 2/ 243.

6) علي بن أبي طالب: نهج البلاغة، جمع الشريف المرتضى (ت: 436هـ/ 1044م)، 3/ 65؛ البلاذري (279هـ/ 892م): أنساب الأشراف، 2/ 174؛ ابن قتيبة الدينوري (ت: 276هـ/ 889م): عيون الأخبار، 1/ 121؛ ابن أبي الحديد (ت: 656هـ/ 1258م): شرح نهج البلاغة، 16/ 168.

قد أوردته مصادر كثيرة، ومما يُظهر أن هذا النص منقول حرفيا من كتاب غير إباضي، احتواؤه على عبارة تذم أهل النهروان، وهي مبطَّنة في لمز علي بن أبي طالب الصحابيَ عبد الله بن عباس لأنه فارقه مثلما فارقه غيره، فقال في ذلك: "فلما رأيت الزمان على ابن عمك قد كلب...فارقته مع المفارقين، وخذلته مع الخاذلين...".

يستنتج مما سبق أن كتاب "سير علماء الإباضية" يتضمن جزءا غير يسير يعد نقلا حرفيا من مصادر متنوعة، وغير مستبعد أن ناقل السير أو شارحها عاش بعد القرن السابع الهجري، وقد يكون الناقل والشارح هو الذي تولى جمع السير في كتاب ضخم، سماه "سير علماء الإباضية".

2- من النصوص الأولى ذات الدلالة التاريخية الخاصة والتي انفرد بها كتاب "سير علماء الإباضية" نجد الآتي:

- النص الأول عنوانه: **"كتاب فيه مكاتبة علي بن أبي طالب إلى عبد الله بن عباس**[1].

- والنص الثاني هو جواب لعبد الله بن عباس على كل اتهامات الإمام علي له، وعنوانه: **"رد عبد الله بن عباس إلى علي بن أبي طالب"**[2].

فالنصان يتضمنان محاججة لجوجة بين صحابيَين جليلين، ويتضمنان أيضا

1) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 30.

2) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 31، وهذا الجواب أو الرد كتب بعد خروج جابر بن عبد الله من بيت عبد الله بن عباس، وفي النص أن كاتب الجواب هو عكرمة. ومن المراجع التي اهتمت بهذين النصين، نذكر: ناصر مُحَّد: منهج الدعوة عند الإباضية، 311 - 314.

بعض أحاديث رسول الله ﷺ، فلما بحثت مليا عن تخريج الأحاديث، ولما استقصيت بعض العبارات في مختلف المصادر لأتعرف على من اعتمد هاتين الرسالتين اللتين تتضمنان فصلا نهائيا في قضية شائكة، وهي تبرئة أهل النهروان، واتهام علي بن أبي طالب بقتلهم، ومعاتبة عبد الله بن عباس في سكوته عن هذا الصنيع، لم أعثر على شيء من هذا القبيل في ما لدي من مصادر[1]. وفتحا لشهية البحث المستقبلي عن مصدر الرسالتين أسوق الأحاديث الواردة فيهما، وهي:

"أشهد أن لسانك بين فكي صدوق"، قالها الرسول ﷺ وهو يمدح جابر بن عبد الله الأنصاري.

"يا علي، أما إنك ستنفر نفرة لها نبأ جليل، أما إنك ضمن تسلحه مثلا منه".

"إن لك نفرة بقوم ليسوا بفاسقين، سيماهم في وجوههم، وإيمانهم في قلوبهم".

– ويلحق بالنصوص السابقة ما جاء بعنوان: **"كتاب فيه الرد على أهل الشك"**[2]، وأتصور أن القارئ لا يشك في أن ينسب هذا النص لجامع السير ويعتبره من تأليفه الخاص، حيث لا نجد ذكرا لأي شخصية في العنوان، وليس هناك حوار في النص، ولا نسبة الأقوال إلى الصحابة أو العلماء، وهذا ما يسهل الجزم بأن النص من تأليف جامع السير، إذ نجده يقوم بشرح المواقف في قضايا الخلاف التاريخي بين الصحابة، ويردُّ على كل الأقوال والعبارات الواردة في موضوع

1) من المصادر المرجحة أن تكون المادة العلمية مستقاة منها كتاب "وقعة صفين"، لكن بعد تصفحنا إياه لم نجد ما يشفي الغليل. انظر: نصر بن مزاحم المنقري (ت: 212هـ/ 827م): وقعة صفين.

2) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 36.

الشك في اتخاذ موقف على من خالف أيمة الإباضية الأوائل، ويذم من لم يشأ أن يفصل في الطرفين المتنازعين بعد وقعة صفين، ويعاتب من لم يختر أن يرجح أحد الطرفين المتنازعين في الأمر.

فنقول استنتاجا مما سبق: أن النصوص ذات الدلالة التاريخية الخاصة، بعضها يفترض أنها منقولة حرفيا، وبعضها يحتمل أنها تعد خلاصة جامعة للمعاني المنقولة في سير أخرى، ولعل مؤلف هذا النمط من السير هو نفسه الذي قام بجمعها في كتاب "سير علماء الإباضية".

3- بداية من السيرة المعنونة بـ: "**من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب إلى بريد بن حصن، وعبد الله بن وهب، ومن معهما من المسلمين**[1]"، سيعثر القارئ الحصيف على سبع عشرة (17) سيرة لمختلف العلماء والشخصيات، تفتتح كلها بعبارة متشابهة ومتقاربة في الصياغة، وهي قوله:

"سلام عليكم [أو عليك]، فإني أحمد الله إليكم، الذي لا إله إلا هو".

وعناوين هذه السير، هي:

- من إمام المسلمين عبد الله بن وهب الراسبي، وزيد بن حصن، ومن معهما من المسلمين إلى علي، الخالع لنفسه[2].
- "سيرة عبد الله بن إباض إلى عبد الملك بن مروان"[3].

1) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 23.

2) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 24. مع اختلاف وجود طفيف.

3) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 44.

– "كتاب مسلم أبي عبيدة وحاجب إلى أهل المغرب حين اختلفوا في أمر عبد الجبار والحارث، حين قتل بعضهم بعضا"[1].

– "من أمر أبي عبيدة وأبي مودود إلى الفضل بن كثير"[2].

– "كتاب من أبي مودود حاجب إلى أبي الحر"[3].

– "كتاب إلى أهل عمان فيه ذكر فتنة ابن درهم، حين وقع بين أهل عمان الاختلاف، وبرئ بعضهم من بعض، وذلك في زمن أبي عبيدة وحاجب"[4].

– "سيرة أبي مودود حاجب"[5].

– "رسالة هارون بن اليمان إلى الإمام بن مهنا بن جيفر في شأن محبوب بن الرحيل"[6].

– "هاشم بن غيلان إلى الإمام عبد الملك بن حميد"[7].

– "سيرة إلى الإمام عبد الملك بن حميد من هاشم بن غيلان، ومُحَمَّد بن موسى، والأزهر بن علي، والعباس بن الأزهر، وموسى بن مُحَمَّد ابني علي، وسعيد بن جعفر"[8].

---

1) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 50.
2) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 58.
3) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 62.
4) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 62.
5) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 66.
6) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 154.
7) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 198.
8) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 201.

- "سيرة لأبي علي إلى أشياخ المسلمين والشراة"[1].
- "سيرة الإمام المُهَنَّا بن جَيفر إلى معاذ بن حرب"[2].
- "سيرة مُحَمَّد بن محبوب إلى أبي زياد خلَف بن عذرة"[3].
- "من كتاب أبي عبد الله مُحَمَّد بن محبوب ومن الإمام الصلت بن مالك إلى إمام حضرموت: "أحمد بن سليمان" ومَن قِبلُه من المسلمين، لما وقع بينهم الحرب والاختلاف"[4].
- "سيرة مُحَمَّد بن محبوب إلى جماعة ممن كتب إليه من المسلمين، من أهل المغرب"[5].
- "سيرة إلى الإمام الصلت بن مالك المبتلى بأمور أهل عمان"[6].

يفترض بداهة أن هذا التشابه المطلق في العبارة غير مقبول عقلا أن يتفق عليه علماء ينتمون إلى فترة القرن الثاني والثالث الهجريين، ويعيشون في أماكن مختلفة، وهو ما يعين في صياغة الفرضية التالية:

لقد تدخل جامع سير علماء الإباضية وأجرى تهذيبا وتحويرا في السير التي وجدها تنسب إلى الأيمة المتقدمين. ومما أضافه على الأقل ديباجة مشتركة رصع بها سير الأوائل.

---

1) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 206.
2) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 208.
3) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 221.
4) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 221.
5) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 236.
6) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 451.

وقد نسوق احتمالا بعيدا عن الصواب مقارنة بما سبق، وهو أن يقال: قد كانت هناك بعض السير في التراث الإباضي تحمل ديابجة معينة، ثم جاء من صاغ بقية السير على منوالها، وحافظ على الديباجة التي وجدها أول مرة. ومرد استبعاد هذا الاحتمال عن الواقع كون التمييز بين السيرة الأصلية والسيرة التابعة لغيرها مع تشابه ديباجاتها أمرا بعيد المنال.

وخارج نقطة تشابه الديباجات، فإنه يلاحظ أن كثيرا من افتتاحيات السير طويلة العرض ولها صفة وعظية مباشرة، وهذا ما يفتح احتمال وحدة المقصد في كتابة السير، الأمر الذي يعزز أن الجامع أو المهذب لمجموعة السير هو شخص واحد، جمع السير ثم تدخل في النص؛ إما بتعديل بعض العبارات المقتضبة، أو بشرح بعض الفقرات المشهورة عن بعض العلماء، وحسبما مر فإن هذا الشخص ينتمي إلى ما بعد القرن السابع الهجري.

4- ورد عنوان طويل جاء فيه: **"هذا مختصر من كتاب فيه: صفة أحداث عثمان بن عفان، وما نقم المسلمون عليه، وصفة مقتله، ومبايعة الناس علي بن أبي طالب من بعده، والذي كان من حرب علي التي جرت بينه وبين عائشة أم المؤمنين وطلحة والزبير ومعاوية بن أبي سفيان، ومفارقة الخوارج لعلي بن أبي طالب، وقتله إياهم، مفسرا على وجوهه ومنازله، بتحقيق الروايات عن فقهاء المسلمين"**[1].

القارئ لهذه السيرة تنتابه مجموعة افتراضات وملاحظات تدور كلها في فلك

1) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 16.

استبعاد أن تنسب هذه السيرة إلى المتقدمين، ومن المؤشرات المساعدة لصياغة الاستنتاج السابق:

– لا يستبعد المتتبع لما ورد في ثنايا هذا النص أن يجده لا يخرج عن ذكر مواقف ضد أعمال عثمان بن عفان ﷺ، وهو نفس المحتوى تقريبا المتداول في بعض الكتب التاريخية المشهورة، مثل: المسعودي (ت: 346هـ/ 957م)[1]، وابن أبي الحديد (ت: 656هـ/ 1258م)[2]، والذهبي (ت: 748هـ: 1347م)[3]، وابن كثير (ت: 774هـ/ 1372م)[4]، فضلا عن نقل الشيعة أيضا لها في كتبهم، وعلى رأسها البحار للمجلسي (ت: 1110هـ/ 1698م)[5].

– يبدو لنا أنه لا يصح اعتبار العنوان "صفة أحداث عثمان" من المصادر الأولى التي تحدثت عن الاختلاف بين الصحابة، وبخاصة ما ورد فيه من اختلاف عائشة ﷺ مع بعض الصحابة، لأنه لو كان الأمر كذلك لاشتهر عند الناس هذا المصدر –على الأقل عند الشيعة مثلا–، لكن لما ظهر لنا جهل المسلمين بهذا العنوان "صفة أحداث عثمان"[6]، ولما تبين لنا أن سلف الإباضية أنفسهم صرحوا بعدم معرفتهم بالكتاب، حيث نجد البرادي (حي في: 810هـ / 1407م) يقول عنه:

---

1) المسعودي: مروج الذهب، 2/ 339.

2) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، 2/ 129.

3) الذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، 3/ 429.

4) ابن كثير: البداية والنهاية، 7/ 190.

5) مُحَمَّد باقر المجلسي: بحار الأنوار، 31/ 475.

6) أجريت بحثا مطولا باحثا عن كتاب يوافق محتوى هذه السيرة عند المصادر السنية والشيعة فلم أعثر، ومعتمدي على المكتبات الشاملة الرقيمة التابعة لكل طائفة على حدة.

"فمن ذلك تواليف أصحابنا المشارقة؛ كتاب صفة أحداث عثمان بن عفان؛ رأيته ولم أعرف مؤلفه"[1]، فإننا لا نتوانى أن نستبعد نسبة السير إلى أحد المتقدمين.

– نظرا لكون عنوان السيرة طويلا جدا، فيفترض أنه يشير إلى مختصر لكتاب تاريخي، وأن ما فيه من فقرات مثل: "صفة أحداث عثمان"، "مبايعة الناس علي" تعد فصولا من هذا الكتاب التاريخي، أو فهرسا شاملا لمحتوى هذا الكتاب، ونستبعد أن هذه العناوين الجزئية عنوان لكتاب مستقل.

– العبارة الواردة في العنوان: "...مفارقة الخوارج لعلي بن أبي طالب، وقتله إياهم"، لا أتصور أن يذكرها إباضي مطلقا، ولذلك فهي تبدو من المؤشرات التي تجعل المرء يرتاب في نسبة الكتاب إلى إباضي.

– تتضمن هذا السيرة في ثنايا نصها عبارة، "ومن الكتاب"، ويلاحظ أنها قد وردت في أكثر من موضع، والعبارة مما لا يختلف فيه اثنان في أنها تدل على النقل الحرفي من مصادر أخرى[2]. أي أن هذه السيرة أغلب مادتها تعد نقولا حرفية.

---

1) البرادي، أبو القاسم بن إبراهيم: رسالة المؤلفات، ضمن مجموع بمكتبة الشيخ ازبار، بني يزقن.

2) أشير إلى أني لم أفلح للأسف في اكتشاف هذه المصادر رغم المحاولات الحثيثة للبحث في الأوعية الرقمية.

ومن المصادر الإباضية التي تحدثت عن أحداث عثمان، نجد القلهاتي (ق6هـ/ 12م)، والبرادي (ق9هـ). وبالمناسبة لما عقدت مقارنة بين المصدرين، ظهر أن أن القلهاتي استفاد من البرادي، رغم تأخر الأخير زمانا، ذلك أن كتاب البرادي أحداثه مسندة بخلاف الآخر، كما أن البرادي لا يشك أحد أنه اعترضته أيدي الإضافة والزيادة، بينما الكشف والبيان للقلهاتي فغير مستبعد أن به أكثر من إضافة. لذلك فلا نجانب الصواب إن قلنا إن البرادي من بين مصادر القلهاتي؛ ينقل ويختصر منه، والله أعلم. انظر: القلهاتي: الكشف والبيان، 2/ 195– 262. البرادي: الجواهر المنتقاة، 47– 162.

– يلاحظ ورود عنوان هذه السيرة في رسالة (ببليوغرافيا) تآليف الإباضية المنسوبة إلى البرادي، وذلك في نسختين مختلفتين في العبارات والفقرات وفي ترتيب المعلومات[1]، فأما الرسالة الأولى (توجد داخل كتاب الجواهر المنتقاة) فذكرت السيرة كالآتي:

معتمدي عند الإحالة إلى كتاب "جواهر المنتقاة" للبرادي على النسخة المحققة، وإذا أشرت إلى غيرها فأضعها بين قوسين.

1) الرسالة الأولى توجد داخل كتاب الجواهر المنتقاة المحقق، وتقع بعد رسالة "ذكر لمع من سيرة الحلقة، وما ينبغي لأهل الطريق والعزابة"، وقبل الرسالة الأخيرة المعونة بـ "ذكر الموت".

أما الرسالة الثانية فهي المسماة "رسالة المؤلفات"، الموجودة ضمن مجموع بمكتبة الشيخ ازبار، بني يزقن، وما يميز هذه عن الأولى أنها تفتتح بذكر سبب تأليف الرسالة، وأن ذلك جاء تلبية لطلب أحد تلاميذ البرادي، وهي كذلك تبدو مفصلة وشاملة، ولذلك لا نجانب الصواب إذا اعتبرنا أن الرسالة الثانية نسخة منقحة بعد تأليف كتاب الجواهر، أو يمكن اعتبارها قد نقحت من غير البرادي.

والمهم أنه حين عقدت مقارنة بين الرسالتين، فوجدت أربع (04) عناوين للكتب مذكورة في الرسالة الأولى، غير واردة في الثانية، وهذه الكتب هي: الجامع لابن بركة، وابن عباد المدني، وسالم بن الحطيئة الهلالي، والسؤالات.

وعثرت أيضا على 31 عنوانا ورد في الرسالة الثانية ولم يرد في الرسالة الأولى، ومن العناوين التي نراها مهمة ولم تذكر في الأولى، نورد الآتي:

1– "أخبار صفين وأخبار أهل النهر وقتلهم، أكثر آثاره عن عبد الله بن يزيد الفزاري"، 2–"كتاب عبد الله بن إباض، كتب به إلى عبد الملك بن مروان، جوابا عن كتابه إليه، يشتمل على النقض والرد، وتبيين الاعتقادات والاحتجاج"، 3– "كتاب شبيب بن عطية، تكلم فيه على الشكاك والمرجئة، والذي أعرف من آثار قومنا، أن شبيبا صفريا. لكن كلامه في هذا الكتاب كلام موافق، كتب به إلى عبد السلام"، 4– "كتب به إلى الإمام عبد الله بن يحي الكندي"، 5– "سيرة الإمام عبد الله بن يحي، وما معها من خطب أبي حمزة المختار ابن عوف، **لا أدري من ألفه؟**"، 6– و"كتب من وضع أبي إبراهيم الغدامسي، دفتر صغير في الرد على من يقول بخلق القرآن"، 7– ورسالة مُحَمَّد بن أفلح "في الرد على من يقول بخلق القرآن".

"من ذلك تآليف أهل المشرق.... وكتاب صفة أحداث عثمان بن عفان، وما معه سفر"[1]. وأما الرسالة الثانية (وهي الواردة في رسالة المؤلفات المستقلة) فأوردت العنوان هكذا:

"فمن ذلك تآليف أصحابنا المشارقة؛ كتاب صفة أحداث عثمان بن عفان؛ رأيته ولم أعرف مؤلفه"[2].

ونشير إلى أن تكرار وروود عنوان السيرة بين كتاب "سير علماء الإباضية"، وبين رسالة للبرادي في نسختين مختلفتين لم يفد شيئا في اكتشاف مؤلفها، مع الترجيح أنه من غير المتقدمين.

– أخذا بصحة كلام البرادي بوجود سيرة إباضية عمانية تتحدث عن أحداث عثمان بن عفان، فلا نرى بالضرورة أنها السيرة الماثلة أمامنا والمعنونة بـ: "هذا مختصر من كتاب فيه: صفة أحداث عثمان بن عفان..."، وهذا لعدة أسباب، هي:

أطنب البرادي في الحديث عن الصراع الدائر حول خلافة عثمان بن عفان في كتابه "الجواهر المنتقاة"، ومع ذلك لم يعتمد هذه السيرة مطلقا.

تسرد السيرة –كما هي حاليا في كتاب "سير علماء الإباضية"– الأحداث سردا، بينما البرادي في كتابه ينقل أغلب نصوصه مسندة إلى أصحابها[3]، مما

---

1) البرادي: الجواهر المنتقاة، 71ظ (مخطوط مصور بحوزة مكتبة أبي إسحاق اطفيش، غرداية). وورد في النسخة المحققة: معاوية، عوض "وما معه"، انظر: البرادي: الجواهر، 237.

2) البرادي: رسالة المؤلفات، ضمن مجموع بمكتبة الشيخ ازبار، بني يزقن.

3) من الذين نقل عنهم البرادي ما يأتي: أبو سفيان محبوب. والشعبي عن علي. وعلي بن زيد الجدعاني. وهارون بن سعد بن أبي عبيدة الذهلي. وسليمان الأعمش عن عبيد الله بن حارثة. ومُحَمَّد بن إسحاق

يجعلنا نحتمل أن كاتب السيرة متأثر بالبرادي في نقله للنصوص، لأنه يمكن أن نعتمد على أنه إذا وجدت مادة علمية من غير إسناد في نص، ووجد لها شبه في نص آخر بإسناد، فإن النص المسند يعد أصلا للنص غير المسند. ومن هنا لا غرو أن يصرح أن كتاب "جواهر المنتقاة" هو المعتمد لبعض السير الواردة في كتاب "سير علماء الإباضية"، وأن جامع السير قد أجرى تحويرات في السير بعد القرن التاسع الهجري.

صرح البرادي بأنه يجهل مؤلف السيرة، ولدينا أن عنوان السيرة طويل يوحي بأن السيرة نقل من كتاب، ونصها فيه اقتباس حرفي حسب العبارة التي داخل النص "ومن الكتاب"، ولذلك صح أن نفترض أن السيرة التي أمامنا "صفة أحداث عثمان" ليست بالضرورة التي ذكرها البرادي في رسالة التآليف، ونفترض أيضا أنها لم تكن موجودة في عهد البرادي[1]، وإنما ألفت أو تم اختصارها بعد عهد البرادي،

المدني (كل هذا فيما يخص فتنة عثمان). ومن كتاب سالم بن الحطيئة الهلالي. ومن الكتاب المخالف – هكذا سماه– عند نقله أحداث عثمان. انظر: البرادي: الجواهر المنتقاة.

1) ولعل مما زيد في احتمال صحة استنتاجنا أن الدرجيني –المصدر الأساس لكتاب الجواهر– تجنب الحديث عن أحداث عثمان، فيفترض لو كان في عهده سيرة كاملة عن أحداث عثمان من تأليف إباضي مشرقي لما توانى في اعتمادها في كتابه. ونلاحظ أنه مع تجنب الدرجيني لذكر أحداث عثمان أو غيره فقد أثنى على الصحابة مجملين، فقال: "وهو معدودون عندنا في جملة أخيار الأسلاف"، انظر: الدرجيني: طبقات المشايخ، 2/ 05.

وبغرض استنطاق نصوص الأقدمين لاحتمالية اعتمادهم بعض سير "كتاب سير علماء الإباضية" من عدمه، فإني تتبعت الدرجيني كله فلم أعثر على توافق بينه وبين كتاب السير إلا ما نقله من خطب عبد الله بن يحي الكندي وأبي حمزة الشاري، علما أن الدرجيني نقل هذه الخطب من مصادر مشهورة هي:

أي بعد القرن 9 الهجري، 15 الميلادي. ونحتمل أن السيرة التي أشار إليها البرادي بأنه رآها، فيبدو أنها من المفقودات حاليا.

5- يلاحظ وجود تقارب في العناوين وفي ثنايا بعض النصوص بين كتاب "سير علماء الإباضية" وبين مصادر أخرى إباضية، الأمر الذي يتطلب وقفة خاصة لمعالجة العلاقة، واكتشاف طبيعة التأثير والتأثر بينهما. ومن النصوص التي يمكن أن نذكرها لهذا الشأن ما يأتي:

كتاب العقد الفريد (الدرجيني: 2/ 21، 77)، أو كتاب الأغاني (الدرجيني: 2/ 79)، أو كتاب المبرد (الدرجيني: 2/ 21).

ولعل الاستثناء الوحيد الذي يمكن رصده من الحكم السابق هو وجود رسالة نسجت على منوال الرسائل العمانية، سماها الدرجيني "عهد"، وعنوانها "عهد محبوب بن الرحيل إلى طالب الحق" (الدرجيني: 2/ 91، وهذا العهد يشبه ما وجدته في سيرتين قريبتين منه في الموضوع، وهما: سيرة محبوب بن الرحيل إلى أهل عمان، وإلى أهل حضرموت، انظر: "سير علماء الإباضية": 161، 173.

لكن الأمر الملاحظ هو أن الدرجيني ذكر هذا العهد (رسالة أو سيرة) بدون إيراد الديباجة المشتركة في السير العمانية الواردة في كتاب "سير علماء الإباضية"، كما أننا نجد في وسط العهد (الدرجيني: 2/ 96) لفظة "أما بعد"، مما يظهر أن العهد عبارة عن عهدين أو رسالتين.

ولاستزادة المعرفة في هذا الشأن -أن نص سير علماء الإباضية متأخر عن الدرجيني- فإن الدرجيني أشار إلى وجود أعمال علمية لبعض الشخصيات الإباضية لكن لم ينقل لنا نصوصها، مثل: ابن إباض (الدرجيني: 2/ 21)، ومحمَّد بن أفلح (الدرجيني: 1/ 82)، بينما غيره من الكتب -ونخص بالذكر كتاب "سير علماء الإباضية"- قد أوردت هذه الأعمال بنصها، مما يظهر أنها أُلفت بعد الدرجيني، والله أعلم.

وكخلاصة لتحليل كتاب الدرجيني يظهر أنه لم يعتمد أي سيرة من السير الواردة في كتاب "سير علماء الإباضية"، ولعل هذا ما يقوي أن هذه السير —حسبما هي واردة في "سير علماء الإباضية"- لم تكن معروفة في عهد الدرجيني (ق 7هـ/ 13م)، أو أن تأليفها بالصيغة التي هي عليها حاليا جاء بعد عهد الدرجيني.

– وجدنا في مضمون السيرة المعنونة بـ: **"جواب من هاشم بن غيلان إلى الإمام عبد الملك بن حميد"**[1]، رسالة صغيرة عنوانها: "من عبد الله بن وهب وزيد بن حصين، وحرقوص بن زهير وشرح بن أوفا إلى من بلغه كتابه هذا، من المؤمنين والمسلمين"[2]، وهذه الرسالة الصغيرة هي نفس الرسالة الموجودة في كتاب "الجواهر المنتقاة"[3]. ونلاحظ أيضا أنه رغم أن هذه الرسالة ليست سيرة مستقلة بالذكر في المخطوط، إلا أنها تضم ديباجة متشابهة مع بقية السير السبعة عشرة، (17) ذات الديباجة المشتركة، إذ استفتحت بقوله: "سلام عليكم، فإنا نحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو"، مما يدل على أن هناك مَن تدخل وهذَّب كتاب السير، ولعل جامع السير اعتمد على البرادي، فأدرج الرسالة الصغيرة "من عبد الله بن وهب وزيد بن حصين... إلى بلغه كتابه هذا... من المسلمين"، ضمن سيرة "جواب من هاشم بن غيلان... ".

– ودائما مع هذه السيرة **"جواب من هاشم بن غيلان..."**، فإن بها نصا وخطبة لعبد الله بن وهب يشبهان إلى حد بعيد ما في كتاب البرادي، وهذا يؤكد النقل من البرادي، ويشير إلى أمر آخر، سيظهر لنا بعد قراءة نصين؛ أحدهما من كتاب "سير علماء الإباضية"، والآخر من البرادي.

ورد في كتاب سير علماء الإباضية: "وقال المسلمون عند ذلك: لا حكم إلا لله، وتفرقوا إلى بلدانهم وأمصارهم، ثم تكاتبوا، وجعلوا الموعد منهم إلى الكوفة في

1) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 191.

2) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 195.

3) البرادي: الجواهر المنتقاة، 147.

دار عبد الله بن وهب الراسبي.

حمد الله، وأثنى عليه، وصلى على النبي ﷺ، ثم قال: أما بعد: فما ينبغي لقوم يؤمنون بالرحمن، وينتهون إلى حكم القرآن أن تكون هذه الدنيا الفانية إلى الرضى بها... فقام حرقوص بن زهير، فحمد الله... [1]".

وجاء في البرادي كالتالي: "وحدثني عبد الله بن يزيد الفزاري، أن عليا لما بعث إلى أبي موسى لإنفاذ الحكومة، تراجع المسلمون بعضهم إلى بعض فاجتمعوا، فكان اجتماعهم يومئذ في منزل عبد الله بن وهب الراسبي: قال:

فحمد الله ابن وهب، وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: أما بعد، فو الله لا ينبغي لقوم يؤمنون بالله الرحمن، وينتصبون إلى حكم القرآن أن تكون هذه الدنيا في الركون إليها...فقام حرقوص بن زهير السعدي صاحب رسول الله ﷺ فحمد الله..."[2].

فالنصان متشابهان تقريبا، والأول ورد دون إسناد، بينما البرادي صرح بأنه نقله من الفزاري.

– اكتشفنا أن المادة الخبرية المتعلقة بصفين والتحكيم غالبا ما يستقيها صاحب كتاب "الجواهر المنتقاة" من "عبد الله بن يزيد الفزاري"[3]، صاحب الكتاب

---

1) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 193.

2) البرادي: الجواهر المنتقاة، 145.

3) البرادي: الجواهر المنتقاة، 147، من أمثلة النصوص، قوله: "حدثني عبد الله بن يزيد الفزاري عن جابر بن زيد ﷺ، قال: خطب عبد الله بن وهب الراسبي فقال: الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض، وجعل الظلمات والنور، ثم الذين كفروا بربهم يعدلون، ثم قال بعد هذا الكلام بكلام: ثم إن عليا وأصحابه قد حكَّموا في دين الله "عبد الله بن قيس"، و"عمرو بن العاص"...". وهذه تعد الخطبة الثانية

المفقود "كتاب النهروان"[1]. بينما نجد كتاب "سير علماء الإباضية" قد يورد نفس المعلومات، أو يذكر نفس السياق دون أن يشير إلى مصدره، فهذا يبين أن هذا الكتاب منقح، ويظهر أيضا أن مؤلف كتاب "سير علماء الإباضية" قد نقل من البرادي.

– توجد سيرتين أخريين من وإلى "الإمام عبد الله بن وهب الراسبي" في كتاب "سير علماء الإباضية"، لكن لم نعثر على شبيه لها في كتاب "الجواهر المنتقاة"، رغم اهتمام البرادي الشديد بهذا الموضوع، والسيرتان هما:

الرسالة الأولى: "**من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب إلى بريد بن حصن، وعبد الله بن وهب، ومن معهما من المسلمين**"[2]، وهذه السيرة تتحدث عن الحكَمين "أبو موسى الأشعري، وعمرو بن العاص"، وتصفهما بأنهما نبذا كتاب الله وراء ظهورهما، وحكما بغير ما أنزل الله.

الرسالة الثانية: "**من إمام المسلمين عبد الله بن وهب الراسبي، وزيد بن حصن، ومن معهما من المسلمين إلى علي، الخالع لنفسه**"[3]، والسيرة فيها أن الإمام علي بعث برسالة إلى أهل النهروان يقر لهم فيها بنبذ نتيجة الحكَمين (أبو

للراسبي حسب ذكرها في هذا المقال. وأمثلة النقل من الفزاري في البرادي أكثر من أن تحصى.

1) البرادي، رسالة المؤلفات، ضمن مجموع بمكتبة الشيخ ازبار، بني يزقن.

ونظرا لأن البرادي قد استقى مادته من "كتاب النهروان، لعبد الله بن زيد الفزاري" الذي يعد من الإباضيين المعارضين، فلا يعول على ما ذكر من الأحداث التاريخية المتعلقة بالإمام علي بن أبي طالب مع أهل النهروان، على أنها من الحقائق الثابتة التي ينبني عليها رأي علمي، أو يلزم فيها بموقف عقدي كالبراءة أو الوقوف.

2) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 23.

3) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 24.

موسى الأشعري وعمرو بن العاص)، وفيها أمر بالدخول في طاعة الإمام الجديد "عبد الله بن وهب الراسبي".

والأمر المثير في السيرة الأخيرة أن النص يتحدث عن الإمام المثبَت (الراسبي) بصيغة الغائب عوض أن يكون هو المتكلم، ويرد هذا في قوله: "فادخل فيما دخل فيه المسلمون في طاعة الله ورسوله وطاعة إمام المسلمين؛ عبد الله بن وهب الراسبي... فقد **بايعناه** بعد خلعنا إياك". فيتصور أن المفروض أن يكون الخطاب بصيغة المخاطب لا بصيغة الغائب، وإلا عد كأن هناك كاتبا للنص غير صاحب الرسالة.

نظرا لإشكال الصياغة في الرسالة الثانية، ونظرا لورود الرسالتين في كتاب "سير علماء الإباضية" دون "الجواهر المنتقاة"، مع أنهما من صميم الموضوع الذي اهتم به البرادي في كتابه "الجواهر المنتقاة"، فيمكن القول إن الرسالتين لعلهما حررتا أو نقحتا بعد عهد البرادي.

6- من الأمور التي يمكن الوقوف عندها في قراءة: "**سيرة عبد الله بن إباض إلى عبد الملك بن مروان**"[1] ما يأتي:

- ابتدأت السيرة بنفس الديباجة مع مختلف السير الإباضية المدونة في القرون الأولى، علما أن هذه السيرة تعد عند المؤرخين من أنفس السير وأشهرها عندهم، باعتبار أنها منسوبة إلى مؤسس الإباضية "عبد الله بن إباض"، وموضوعها حول محاججة الأمويين، وإظهار موقف الإباضية من الحق والعدل.

1) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 44.

– ونظرا لكون هذه السيرة من أول السير، وتضم ديباجة مشتركة مع غيرها، وأوردها البرادي في كتابه[1]، فصار من المحتمل لدينا أنها كانت محررة قبل القرن التاسع الهجري. ويبقى السؤال المطروح:

هل صيغة السيرة الحالية –والمدونة عند البرادي وكتاب السير العمانية– هي نفس ما حرره إبن إباض بنفسه؟ إن الجواب على هذا السؤال يقتضي منا مراجعة دقيقة لمحتوياتها.

– وردت الرسالة في البرادي، هكذا: "ومن آثار عبد الله بن إباض كتابه إلى عبد الملك بن مروان"[2].

– في نص الرسالة إشارة إلى وجود مراسلات سابقة بين الحاكم الأموي عبد الملك بن مروان، والإمام عبد الله بن إباض، ومن النصوص الدالة على ذلك:

"وكتبت إلي تحذرني الغلو في الدين، فإني أعوذ بالله من الغلو في الدين..." [3].

"وكتبت إلي تعرِّض للخوارج"[4].

" ...كتبت إلي أن أكتب إليك بمرجوع كتابك، فإني قد كتبت إليك"[5].

وهذه المراسلات مع ابن مروان تعد من المفقود وللأسف، لكن الشيء الذي يحير هو أن المصادر التاريخية لا تشير إلى وجود مكاتبات بين الحاكم الأموي ابن مروان والحاكم الإباضي ابن إباض، مع أن المفترض أن يتناقل الناس مساجلات

---

1) البرادي: الجواهر المنتقاة، 175.

2) البرادي: الجواهر المنتقاة، 175.

3) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 49.

4) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 49.

5) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 50.

هؤلاء القادة ويتداولونها بينهم بالتشريح، وإن ضاعت فيشيرون إلى وجودها ذات يوم.

– يوجد تكرار لبعض الفقرات والعبارات في ثنايا النص، ولا يدري القارئ هل ينسب ذلك إلى النساخ؟ أم أن أصل المراسلات بين الحكام تتضمن ذلكم التكرار، ومن أمثلته:

"...كتبت إلي أن أكتب إليك بمرجوع كتابك، فإني قد كتبت إليك، وأنا أذكرك بالله العظيم إن استطعت بالله، لما قرأت كتابي، ثم تدبر فيه وأنت فارغ، ثم تدبره،

فقد كتبت إليك بجواب كتابك، وبينت لك ما علمت ونصحت لك، فإني أذكرك بالله العظيم، لما قرأت كتابي وتدبرته، واكتب إلي إن استطعت بجواب كتابي، إذا كتبت إليك بما أتنازع فيه أنا وأنت.." [1].

– لإدراك أصالة رسالة ابن إباض، نعود إلى ما قاله البرادي عن سبب تأليف الدرجيني لكتابه، إذ قال: "ذكر لي بعض العزابة أن سبب تأليف أبي العباس [الدرجيني] هذا الكتاب [الطبقات] لما وصل "الحاج عيسى بن زكرياء" من بلاد عُمان بما معه من الكتب التي ورد بها أرض المغرب كـ "حل ابن وصاف"، و"جامع الشيخ أبي الحسن"، و"جامع ابن جعفر" وغيره، فكان مما رغب إليه إخوانه أن قالوا له: وجهوا لنا كتابا يتضمن سير أوائلنا، ومناقب أسلافنا من أهل المغرب، من لدن وقع فيه مذهبنا إلى هلم جرا.. فإنه قد عميت علينا أنباؤهم، وغابت عنا

1) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 50.

آثارهم، من بُعد الشقة وعظم المشقة"[1].

فالنص يمدنا بمعلومة أن الدرجيني نسج كتابه على منوال كتب عمانية تضمنت سيرا لأوائلهم، لكن إذا أجرينا مقارنة بين طريقة التأليف بين الدرجيني وبين البرادي المعقب عليه، والذاكر للنص السابق سنجد أن البون شاسع بين الطرفين، فالأول لم يهتم بإشكالات الصحابة، ولم يهتم بنقل نصوص كتب سلف الإباضية، بينما البرادي ركز على حياة الرسول ﷺ مطعمة بأحاديث من مسند الربيع بن حبيب، هذا المسند الذي لم تكن أحاديثه متداولة في كتب الإباضية باستفاضة قبل البرادي –فيما نعلم–، واهتم البرادي أيضا بالاختلاف الواقع حول الصحابة، ثم أورد بعض النصوص المنسوبة للسلف، وعلى رأسها رسالة ابن إباض، وبهذا وجدنا أنفسنا مرتبكين في حقيقة سير أوائل الإباضية.

هل هذه النصوص كانت محررة قبل الدرجيني (670هـ/ 1271م)؟

وهل هذه النصوص قد وردت في الكتب العمانية السابقة عن الدرجيني، ثم تغاضى الدرجيني عن ذكرها في كتابه، كما تغاضى أبو زكرياء الوارجلاني عن إيرادها في كتابه السير[2]؟

وهل كانت هذه النصوص معروفة عند علماء الإباضية في المغرب، لكن لم يوردوها في كتبهم، حتى جاء البرادي فضمها إلى تأليفه؟

وهل أن هذه النصوص لم تكن محررة في عهد الدرجيني، ولم تكن متداولة في الكتب العمانية السابقة عليه، لكن لما جاء البرادي حررها، ثم أتبعه جامع كتاب

1) البرادي: الجواهر المنتقاة، 19.

2) انظر: أبو زكرياء الوارجلاني: السيرة وأخبار الأيمة، كله.

"سير علماء الإباضية" فنسج على منوال هذه السير القديمة بقية السير المبثوثة في هذا الكتاب الأخير؟

وهل أن جزءا يسيرا من السير كان محررا في عهد الدرجيني، لكن تغاضى عن إدراجها في كتابه. ولما جاء البرادي ضمها إلى عمله، ثم جاء في عهد متأخر من حرر بقية السير؟

أم أن كل السير المنسوبة إلى أوائل الإباضية في كتاب "سير علماء الإباضية" قد حررها وكتبها الشخصيات المذكورة في عناوينها، فهي بذلك صحيحة النسبة إلى من ذكر في عنوانها؟

حاليا يصعب طرح جواب شاف في الموضوع، ما لم يبحث عن النسخ القديمة جدا عن الكتب العمانية؛ كجامع ابن جعفر، وجامع البسيوي، والحل لابن وصاف، وغيرها من الموسوعات، على أن تكون هذه النسخ من قبل القرن التاسع الهجري، وخالية من الإضافات والزيادات. وعند تعذر إيجاد نسخ مخطوطة قديمة وواضحة تاريخ نسخها وشاملة لمجموعة كبيرة من السير المتداولة حاليا لعلماء سلف الإباضية الأوائل ومن دون أن تضم الإضافات، يمكن تقديم احتمالين:

أ- لا نستبعد أن تكون "**سيرة عبد الله بن إباض**" أولَ تأليف إباضي لسيرة من السير[1]. وأن بقية السير ألفت بعد القرن التاسع الهجري، مع استثناء ما نقل حرفيا.

1) لا زلنا غير مقتنعين كلية أن السيرة –كما هي عليه حاليا- ألفها عبد الله بن إباض بنفسه، ذلك أننا لم نجد جوابا شافيا لاعتراضات السابقة، لكن قصارى ما أردنا أن نركز عليه، هو أن السيرة كانت مدونة في عهد البرادي.

ب- بناء على الملاحظات لنص رسالة ابن إباض، وبناء على ملاحظات عناوين ومضامين كثير من السير، فإن السير تم تحويرها بداية من عهد البرادي، بما في ذلك رسالة ابن إباض (كانت بشكل ثم غير نصها).

ولا أخفي أن الاحتمال الثاني يتأرجح عندي على الأول، لاعتقادي أن ظاهرة التأليف بمنهج شرح كلام المتقدمين من قِبل المتأخرين، ونسبة كل شيء إلى المتقدمين تعد ظاهرة متداولة بين المسلمين بكل أطيافهم[1].

7- بعض السير تتضمن شخصيات غير معروفة، وأخرى بها فقرات لا يظهر أنها من فترة الشخصية الواردة في العنوان، ومن السير من تشيد بالقرون الأولى رغم نسبتها إلى أحد المتقدمين، وهذه الملاحظات تشعر أن نسبة السير إلى المذكورين في عناوينها محل نظر ومراجعة، ونذكر من ذلك ما يأتي:

- ورد في: "**كتاب إلى أهل عمان فيه ذكر فتنة ابن درهم، حين وقع بين أهل عمان الاختلاف، وبرئ بعضهم من بعض، وذلك في زمن أبي عبيدة وحاجب**"[2].

هذه السيرة تحكي حدثا وقع ذات يوم في زمن أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة، وأبي مودود حاجب الطائي إلى أهل عمان، وتضم السيرة شخصيات لا يعرف لها

---

1) لقد أظهرنا هذا النهج في سيرة ابن هشام، وفي كتاب منهاج السنة لابن تيمية، وفي كتاب الصواعق المرسلة لابن القيم. ويوجد لها حضور مكثف في كتب الشيعة أيضا، انظر هذه الظاهرة في هذين الكتابين لنفس المؤلف: ابن ادريسو مصطفى: العقيدة الإسلامية بين الراجح والمرجوح، 85، 108؛ السيرة النبوية في العهد المكي، مراجعة معرفية وحديثية، ص 21.

2) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 62.

ذكر سابق في التراث الإباضي؛ مشرقا أو مغربا، وهما: سدوس بن يوسف، وثابت بن درهم، اللذان اشتريا رجلا حرا من ثابت بن جهري[1]. ولذلك ليس بالضرورة الإقرار أن تأليف هذه السيرة كان في عهد زمن أبي عبيدة وحاجب.

– ورد في "**كتاب منير بن النير الجعلاني إلى الإمام غسان بن عبد الله**"[2]، أن منير بن النير يقول في رسالته:

"فإني كتبت إليك، وأنا ومن قبلي؛ من إخوانك وأهل رعيتك من أهل خاصتك".

"أتاني كتابك تحثني على الإقبال إليك في الأمر الذي عرفتَ قبل اليوم، رغبتي فيه وحرصي عليه للذي أرجو فيه من القوة للدين وأهله والبركة... وتثبيت الدين الذي أنزل الله به الكتاب، وأرسل به الرسول ﷺ **ومضى عليه أيمة المسلمين وقاداتهم وخوارجهم** وأثروا بأعقابهم من الحسن الجميل الذي زينهم الله به...".

"لم يخرج من خرج منهم لأعراض الدنيا وباطلها، ولا رضوا لأنفسهم بالوهن في الدين والتقصير عما سما إليه أسلافهم من المبالغة في دين الله".

من هذه الفقرات يمكن أن نرصد بعض الملاحظات، مثل:

صيغة الرسالة غير واضحة، إذ كيف يقول منير بن النير "أنا ومن قبلي"، والإمام غسان قد عاش مع منير بن النير في نفس العصر؟ ثم كيف يذكِّر إمام عمان بأسلافه، في قوله: "والتقصير عما سما إليه أسلافهم"، وهما أنفسهما من الرعيل

1) استعنت على فهم موضوع هذه السيرة بمقال عبد الرحمن السالمي، انظر: عبد الرحمن السالمي، مقال السير العُمانية كجنس أدبي، مجلة نزوى، سلطنة عُمان، العدد 19.

2) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 75.

المتقدم؟

كيف يجمع منير بن النير بين أيمة المسلمين وخوارجهم، فضلا عن أن لفظة "الخوارج" لا تلقى الترحاب في الأوساط الإباضية؟

يخاطب منير بن النير أحد أيمة الإمامة الثانية في عمان "الإمام غسان"، في أمر مشهور عند صغار الإباضية فكيف بعلمائهم وكيف بأيمتهم الذين حكموا دولهم، والحدث هو موضوع الخلاف مع الإمام علي في النهروان، لكن الغريب أن ينبه إمام المسلمين لعله لم يبلغه الخبر، إذ يقول له مخاطبا: "قد بلغك –إن كان بلغك– الذي مضى عليه المسلمون قبلنا وقبلك..."[1].

العبارة الواردة في النص: "فقد بلغني عن عمار بن ياسر"، لا نراها تعني البلاغ الموظف عند المحدثين، وإنما تفيد أن الكاتب وقف على كتاب شخص ونقل ما فيه، أو أن المتحدث يحكي ما حفظ عن غيره، من غير قرينة تثبت السند والاتصال.

تضم السيرة أعلاما كثيرين لا ورود لهم في غير هذه السيرة، ولا ورود لهم في بقية مصادر التاريخ الإباضي –حسبما علمنا–، مما يستدعي البحث العميق حول هذه الأسماء.

هذه السيرة تلزمنا أن نفترض أن منير بن النير لم يرسل أي رسالة إلى الإمام غسان، وإنما أجريت الرسالة على لسانه ولسان أحد أيمة عمان، لبيان أن ما ورد فيها يرغب في رفع الهمة، ويذكر بروح العزيمة والأخلاق لدى الرعيل الأول.

– توجد سيرة ذكر في عنوانها اسم من أسماء القرون الأولى، ومع ذلك يرد في

1) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 77.

مضمونها إشادة بآثار القرون المتقدمة، يحصل هذا في: **"سيرة وائل بن أيوب في نسب الإسلام"**[1]، وفي الفقرة التالية:

"ولزوم سنن العدل، وأثار أيمة الهدى الذين أيدهم الله بعزه، وجعلهم في حرزه، وهداهم بالنور، ووطئ العلم المأثور والولاية لهم، والكينونة على سبيلهم، ومعرفة فضلهم الذي فضلهم الله به، وتضليل من سواهم من أيمة الضلالة والفتنة وقادة الفتنة والفراق"[2].

ويبدو لنا أن لا سبيل لفك هذا الغموض إلا بافتراض أن السيرة من تأليف متأخر، نسبها إلى متقدم.

8- إثر قراءتنا لمجموعة من السير، لاحظنا أن مضمونها لا يتناسب كثيرا مع القرون الأولى، لاحتوائها على بعض المصطلحات التي تبدو أنها لم تتبلور بعد في المرحلة المتقدمة من الإسلام، مما يستدعي أن ننبه إلى احتمال أن السير من تأليف متأخر ينسب المضمون إلى المتقدمين، ويفعل ذلك عن طريق وضع عناوين بها شخصيات من الرعيل الأول. وممكن تأكيد هذه الفرضية عبر النصوص التالية:

- في **"سيرة سالم بن ذكوان** (حي في: 101هـ/ 719م)"[3]، افتتاحية طويلة على خلاف ما سبق في ديباجات السير، ويلاحظ أنها عبارة عن موعظة[4]. وفيها ذكر للرسول ﷺ باسمه من دون ذكر لقبه "الرسول"، ولا يخفى أن هذا الصنيع على غير

1) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 181.
2) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 183.
3) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 83.
4) انظر: ناصر مُحَمَّد: منهج الدعوة عند الإباضية: 327.

العادة في التأليف الإباضي، أو على الأقل غير المألوف –على الأقل– فيما مر سابقا من السير، ويظهر هذا في قوله:

" فأطاع مُحَمَّد ربه...فمكث مُحَمَّد ﷺ ما شاء الله يدعو إلى الإسلام...وإنما مُحَمَّد يومئذ ومن معه نفر...فلما اجتمع إلى مُحَمَّد من شاء الله أن يجتمع إليه من المسلمين..."[1].

وأنبأ الله مُحَمَّدا أنه لم يكن ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه..."[2].

وتضم السيرة كذلك مصطلحات غير متداولة كثيرا في العهد الأول، نذكر من ذلك:

وصف صنيع عثمان بن عفان رضي الله عنه بأنه، "غيَّر السنة وأحدث البدعة"[3].

وقوله أيضا: "تتابعت بذلك خوارج المسلمين يحكمون الله وحده"[4].

وتحدثت السيرة عن فرقة الإرجاء والمرجئة، في قولها: "وكفرت المرجئة أيضا بإرجائهم قوما خالفوا دينهم... فما نحن بحمد الله مرجئي رسل الله"[5]، ويبدو لنا أن اتهام المسلمين بعضهم بعضا بالإرجاء أو الجبر تبلور على يد من صار يحلل مواقف الأوائل، وعلى يد من ألزم على نفسه أن تصنف أفعال الناس وأقوالهم إلى ذات اليمين وذات الشمال، ومن الثابت أن كل هذه المسميات والإلزامات لم تكن بارزة إبان عصر حدوث هذه الأفعال، ومما يدعم فكرتنا أن عهد سالم بن ذكوان

1) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 88.
2) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 91.
3) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 91.
4) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 95.
5) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 99.

ليس بعهد بروز مصطلح "المرجئة" بعد، ولذلك نرى أن هذه السيرة صيغت بعد عصر سالم بن ذكوان.

– في سيرة **"سيرة الإمام المُهَنَّا بن جَيفر إلى معاذ بن حرب"**[1]، معلومات لا توحي أنها من العصر الأول، ويظهر هذا جليا في:

"وهم الذين سموا أنفسهم الجماعة والسنة والعلماء"[2]، فيلاحظ أن أمر تسمية المذاهب لم يكن منتشرا ومعروفا في العهد الأول.

احتواء السيرة على تبويب وتفصيل دقيق على خلاف بقية السير، كما أن التقسيم بشكل منظم لا يشير عموما إلى القرون الأولى، والعناوين الفرعية، هي: باب في التوحيد، باب الوضوء، باب الصلاة، باب الزكاة، باب في المواساة، أمر البعولة، باب الأطفال، باب القدر، باب الرقيق، باب الطلاق.

إذا تأملنا في **"باب في التوحيد"** سنجد ورود عبارات وقضايا لا نراها تعود إلى عهد الإمام المُهَنَّا (ت: 237هـ/ 851م)، مثل: الحديث عن الصفات، وتوظيف الحِجاج في النقاش العقدي، فهذا النقاش يبدو أنه تبلور عند المسلمين مع القرن الرابع أو الخامس الهجري، أو بعدهما، ومن الفقرات الدالة على كلامنا قوله:

"إن الله واحد، لم يزل ولا يزال إلى غاية ولا نهاية....، وما أراد فهو كائن، وما لم يرد فغير كائن... فمن وصف الله بصفة وتأول في صفة كتاب الله فأخطأ... فلما فسد هذا، علمنا أن من حدَّ الله ووصفه، أن له يدا محدودة وأشباه ذلك... مِن زعمهم أن الله تدركه الأبصار في الآخرة... وليس ذلك بالنظر، ولكن تنتظر

1) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 208.

2) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 209.

ثوابه ورحمته"[1].

وبعد باب التوحيد يتحدث النص عن الوضوء والصلاة تفصيلا يوحي بأنه من كتابة المصنفات الحديثة، مثل قوله:

"فيغسلهما قبل أن يدخلهما في الماء، ثم يمضمض ويستنشق..." [2].

"ثم تقول: سبحانك اللهم بحمد، تبارك اسمك وتعالى جدك، ولا إله غيرك، وجهت وجهتي للذي فطر السماوات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين، ولا يجهر بها، ثم يكبر تكبيرة الإحرام، ولا يرفع يديه، ولكن يسدلهما..." [3].

"... وإن قال: سبحان ربي الأعلى في الركوع، وقال: سبحان ربي العظيم في السجود، **فلا بأس، وهو جائز، حسن كله**"[4].

ولم يكتف بذلك، وإنما أخذ يتطاول على المخالفين ويكذبهم فيما استندوا إليه من الأحاديث حول المسح على الخفين[5].

وبعد ذلك فصَّل في باب القدر[6]. ولا يخفى أن أكثر ما سردناه ينأى أن ينسبه القارئ المتضلع إلى نصوص القرون الأولى، وإنما الأليق أن تنسب إلى المتأخرين، الذين يصبغون أعمالهم بصيغة التقنين والتبويب.

---

1) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 209.
2) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 210.
3) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 211.
4) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 212.
5) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 210.
6) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 215.

- يرد في: "**سيرة مُحَمَّد بن محبوب إلى أبي زياد خلَف بن عذرة**"[1]، حديث غليظ عن الإمامين عثمان وعلي رضي الله عنهما، وعند قراءة فقرات السيرة تظهر عبارات تدل على عدم الارتياح المطلق لنسبة العمل إلى متقدم، فضلا أن ينسب إلى ابن محبوب، العالم العماني المشهور، وهذه بعض النصوص الدالة على افتراضنا:

"أن فيكم رجلا من كبار أهل بلادكم، ظهر إليكم من أنه لا يبرأ من علي وعثمان، وقد كلمه من كلم، فلج ولم يرجع، وهو يصلي بكم، فقلت: هل يسعنا أن نصلي خلفه؟"[2].

"فاعلم يا أخي: أن الحق في أمرهما معروف، والأثر عن المسلمين في حدثهما موصوف"[3].

"وأخبرني الثقة من المسلمين أنه سمع من المسلمين في جماعة منهم يقولون: إن فقيها منهم يقول: الله أعلم: الربيع بن حبيب أو غيره من المسلمين أنه قال:..."[4].

والسؤال المتبادر إلى الذهن هو كيف يجهل ابن محبوب الربيع، وهو أقرب الناس إليه، وإذا افترضنا جهله به، فمَن سيعلمه خلافه؟ فهذا بيان واضح عن كون السيرة لا علاقة لها بالشخصية الواردة في عنوانها.

ورد في السيرة كلام منسوب إلى أبي صفرة حول البراءة من الخلفاء وبعض الصحابة، ثم قال: " فقد بينت لك جملا فيها كفاية إن شاء الله، لمن أراد الله

1) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 221.
2) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 221.
3) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 221.
4) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 224.

هداه، والأخبار في الكتب تطول"[1]. ولا يخفى القول "والأخبار في الكتب تطول" يدل دلالة واضحة أن هذه القضية قد سال فيها حبر كبير، وهذا الذي وقع بعد الحادثة بقرون عدة، وليس في القرون المتقدمة، لأن الكتابة في الموضوع بشكل مستفيض تطور عبر الزمن، وهو ما يشير بلا مراء أن الكاتب من المتأخرين.

- يعد "**كتاب أبي عبد الله مُحَمَّد بن محبوب ومن الإمام الصلت بن مالك إلى إمام حضرموت: "أحمد بن سليمان" ومَن قِبله من المسلمين، لما وقع بينهم الحرب والاختلاف**[2]، سيرة أدبية راقية من حيث الأسلوب مقارنة بغيرها، واستوقفنا نص واحد في هذه السيرة يستدعي التأمل، وهو قوله: "اعلم أيها الإمام أنا نظرنا بعد تمام كتابنا هذا فرأينا أن يكون سبيلكم أنتم عليه كسبيل أهل عمان من الشراء، وهي الدرجة العليا على الطاعة والوفاء"[3]، فهذا الوصف للشراء غير معهود لأوائل الإباضية مطلقا، مما يجعل نسبة السيرة إلى العالم ابن محبوب محل نظر.

- ينسب هذا النص إلى ابن محبوب حسب العنوان: "**سيرة مُحَمَّد بن محبوب إلى**

---

1) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 225.

2) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 225؛ للإشارة فقد وردت هذه السيرة في مخطوطة "مجموع من أثار ذوي الألباب"، نسخة مكتبة الشيخ لعلي، ومما ورد في عنوانها ورقة /99ظ/ العبارة التالية : "**غيره**، ومن كتاب مُحَمَّد بن محبوب على لسان الصلت بن مالك إلى إمام حضرموت [في الهامش: أحمد] بن سليمان".

عبارة "غيره" تعني أن النص الذي يأتي بعدها منقول حرفيا من مصدر آخر. انظر معنى هذا المصطلح: ابن ادريسو مصطفى: الفكر العقدي عند الإباضية، 219 وما بعدها.

3) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 230.

جماعة ممن كتب إليه من المسلمين، من أهل المغرب"[1]، والعالم الجليل الذي نُسب إليه النص ينتمي إلى القرن الثالث الهجري، وإلى فترة السلف وعهد الأوائل، ومما يستغرب في النص أنه يوجه القارئ إلى الأوائل وإلى الفترة المتقدمة عند تأصيل مسألة ما، وهذا ما يربك ويشكك في مصداقية النسبة، ومن النصوص التي جمعناها وتحتاج التأمل، قوله:

"فاعلموا رحمنا الله وإياكم أن قول المسلمين المأثور عنهم عن أوائلهم، أن ليس للإمام أن يجبي قوما، ولا يأخذ صدقاتهم"[2].

"فقد بينا لكم أنه ليس للإمام أخذ الصدقات من لا يحميه ولا يمنعه من الجبابرة"[3]، والنص يوحي أننا أمام تأليف وليست رسالة من عالم إلى أهل المغرب.

ثم يفصل النص في عرض المسائل كأننا وسط كتاب فقهي يعرض المسائل الافتراضية:

"وعن الحاج إذا خرجوا إلى مكة، فهل للإمام أن يولي عاملا؟"[4].

"وعن قوم خرجوا في رفقة في سفر، هل لهم أن يولوا رجلا يكون عليهم في سفرهم، يملك نزولهم ورحيلهم ويعقدوا له الولاء، أم ليس لهم ذلك؟ وإن كان جائزا، فهل له أن يقهر من أبى عليه ذلك؟"[5].

مما ينبغي الوقوف عنده مليا ورود قول يثبت أن المتحدث هو مُحَمَّد بن محبوب

---

1) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 236.
2) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 238.
3) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 239.
4) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 239.
5) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 240.

يروي عن والده "أبو سفيان محبوب بن الرحيل"، والنص هو:

"... **وقد بلغني** عن والدي محبوب بن الرحيل رحمه الله، أنه حمل ذلك عنه أشياخنا، أنه ذكر له في أيمة عمان وحضرموت فقال: **الأيمة في الأمصار، كل إمام في مصره**"[1]، فالقارئ سيجره السياق أن يقول إن العبارة الأخيرة: "الأيمة في الأمصار، كل إمام في مصره"، يفترض أن تكون من كلام الوالد: محبوب بن الرحيل، وما بعدها منطقيا من كلام الابن، الذي نسبت إليه السيرة.

لكن إذا استعرضنا ما ورد بعد العبارة السابقة، فقد نستنتج شيئا آخر، لأن النص جاء هكذا: "الأيمة في الأمصار، كل إمام في مصره، فإذا اتصل حكم المسلمين، كانت شورى بين المسلمين، ولا يجوز أن يسمى أمير المؤمنين، لأنه اسم جامع للمؤمنين في كل الأمصار..."[2]، فيلاحظ عدم وجود انقطاع بين ما ينسب للأب وما يفترض أن يكون للابن، فالكل من نفس الأسلوب، والكلام مسترسل، كأنه من شخص واحد، لا نقل فيه، ولا اقتباس، وهذا ما يقوي فرضيتنا المتكررة، أن السير فن في التأليف يضم قولا مقتضبا لأحد أوائل الإباضية، يشرحه مؤلف كتاب السير المجهول إلى حد الساعة، ويصوغ ذلك في كلام مطول ومسترسل، ويسمي هذا العمل "سيرة فلان"، ولذلك لا نتوانى أن يقال أن العلَم الوارد في العنوان لا علاقة له بنسبة السيرة إليه.

– العنوان: "**سيرة أبي الحواري مُحَمَّد بن الحواري العماني إلى أبي عبد الله، وأبي عمر، وأبي يوسف مُحَمَّد بن يحي بن عبد الله بن قرة، وأحمد بن سليمان، ومُحَمَّد**

1) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 256.

2) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 256.

بن عمر، وعبد الرحمن بن يوسف إخواننا من أهل حضرموت[1]: سيرة مليئة بتفاصيل الأحداث المتعلقة بالإمامة الإباضية الأولى لآل الجلندى، ثم الأيمة من بعدهم، وفيها أحكام جمة عن الغنيمة والبغي، وهي في غاية الإحكام والسبك، لكن هل يُسلَّم أنها بقيت كما ألَّفها أبو الحواري أول مرة؟ أتصور أن ذلك عسير، وهذا لما في ثناياها من إشارات توحي بأنها لا ترجع إلى المعني المذكور في العنوان، ومن ذلك:

تشابه الديباجة مع كثير من السير السابقة عليها.

"وحفظنا ذلك عمن حفظنا من أهل العلم المأمونين على ذلك"[2].

"وذكرتم في كتابكم تسألون عن جميع ما كان من أوائل المسلمين وسيرهم في أهل القبلة من قتل وهدم، فهذا ما نعجز عنه ويقصر دونه علمنا... إلا أنا نخبركم بما علمنا من قول المسلمين وآثارهم"[3].

"وقلتم إن هذا كلام وجدتموه عن أبي نضر"[4] [ولعله يقصد أحمد ابن النظر، وهو من علماء ق6هـ/ 12م].

"والذي أخذناه من آثار المسلمين الصحيحة"[5].

ومن مجمل ما مر نستنتج أن السير لا ترجع إلى من رُصعت به عناوينها، وإنما

---

1) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 265؛ انظر: علماء أيمة عمان: السير والجوابات، 1/ 338.

2) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 266.

3) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 269.

4) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 269.

5) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 273.

هي من تأليف أو تحوير عالم جاء –حسبما مر– بعد القرن التاسع الهجري.

9– بعض السير تضم فقرات غير مفهومة، أو فقرات مكررة بشكل ملفت للانتباه، وكل هذا يستدعي التحري في إثبات نسبتها إلى المذكورين في العنوان، ونشير بذلك إلى السير التالية:

– المتتبع للعنوان التالي: "**سيرة خلف بن زياد البحراني** (حي في: 133هـ/ 750م)[1]، سيجد أن السيرة متخصصة في حقوق المحاربة، وسيعثر على فقرات غير مفهومة، وصياغة تبدو غامضة، إلى درجة افتراض أن الأسلوب غير منسجم، وكتب بطريقة غير متسلسلة، مما يوحي بالقارئ أن يحتمل بأن السيرة لعلها شرح لنص أو عبارات مقتضبة لخلف بن زياد، ثم جاء من شرحها وبسط الكلام فيها، ثم نسب كل شيء إلى خلف بن زياد، ومن العبارات الموحية بما ذكر، قوله:

"إنما هو كان بعد المحاربة، نسبهم محاربين بامتناعهم بالذي كانوا أصابوا من قتل المحاربة فما أصابوا بعدها.." [2].

"وإن كان الذي خانوا به في شرك منهم أظهروه فتابوا منه قبل أن يقدر عليهم بالشرك ما أصابوا فيه، وإن قدر عليهم قبل التوبة منهم كان الحكم فيهم أن يصلبوا، لا يصلب من أهل المحاربة أحد غيرهم"[3].

"وقد تعلمون أن المسلمين فيما مضى بسيرة المسلمين اليوم ساروا، إذ هم

1) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 105.

2) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 117.

3) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 118.

طاعنون بعدما أقاموا، وذلك أنهم إن مات يقتل، وأتباعه لم يسبوا ذراريهم، أو ظهروا عليهم، ولم يقسموا أموالهم، ولم ينكحوا ذات بعل منهم، ولا يوم الجمل، فإنهم بذلك ساروا فيهم، وهم حرب مباينون لهم.. وتولوا أولياءهم على المقام عند بعولتهم..

ما عرفنا من سيرتهم توليناه، فإن يكونوا فعلوا ذلك وهو يتولونهم منازل النبي ﷺ من أهل الأوثان فقد خالفوا سيرة التي عرفوها فيهم، واختاروا من البدع ما لم يأذن به الله لهم، ولم تمض به سيرة من نبيئهم ﷺ"[1].

– في "**سيرة شبيب بن عطية** (ق: 2هـ/ 8م)"[2] تكرار عبارة أكثر من مرة، ويلاحظ هذا في الأمثلة التالية:

"وإن مما أضلهم الله به وأعمى أبصارهم"[3]. وكذا "وزعموا أن الرسول ﷺ"[4].

"دعوة من ضيع حقوق الله وحدوده. والسواد الأعظم هم الذين..." [5].

"وقد يعرف ذووا الألباب"[6].

وهذه الظاهرة توحي بأن السير رعاها شخص واحد؛ إما تنقيحا أو تأليفا، وكلا النتيجتين تنبئ بأنه لا يصح اعتماد ما ورد في العناوين من شخصيات كمسلَّمة لنسبة السير إلى أصحابها المتقدمين.

---

1) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 127.
2) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 135.
3) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 148.
4) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 148.
5) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 149.
6) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 150.

10- اعترضتنا بعض السير في الكتاب؛ عناوينها متقاربة لكن مضامينها ليست متوافقة تماما، وأخرى محتوياتها مختلفة تماما، وهذا يوضح أن العناوين غير منضبطة، وأن النصوص تدخَّل فيها معدلون وموجهون عبر الزمن، ولعل من أهم السير التي تنطبق على ما قلنا:

"سيرة شبيب بن عطية"[1]، و**"كتاب شبيب بن عطية إلى عبد السلام، رد على الشكاك والمرجئة"**[2]. الأولى حول حدث مقتل عثمان بن عفان ﷺ، والثانية في مناقشة الإيمان قول وعمل.

"سيرة محبوب بن الرحيل" في أمر هارون بن اليمان، واحدة إلى أهل عمان[3]، والثانية إلى أهل حضرموت[4]، ويلاحظ وجود تشابه قليل بينهما[5].

"جواب من هاشم بن غيلان إلى الإمام عبد الملك بن حميد"[6]، و**"سيرة هاشم بن غيلان إلى الإمام عبد الملك بن حميد"**[7]، **وسيرة إلى الإمام عبد الملك بن حميد من هاشم بن غيلان، ومُحَمَّد بن موسى، والزهر بن علي،**

1) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 135.

2) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 152.

3) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 161.

4) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 173.

5) انظر: ابن ادريسو مصطفى: التواصل المعرفي للمعارضة الإباضية في المشرق والمغرب خلال القرون الثلاثة الهجرية الأولى، مجلة المنهاج، العدد 2، ربيع الأولى 1434هـ/ 2013م، ص 54 وما بعدها.

6) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 191.

7) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 198.

والعباس بن الأزهر، وموسى بن مُحَمَّد ابني علي، وسعيد بن جعفر[1]. فهذه ثلاث سير؛ الأولى حول أحداث صفين وما قبلها، والثانية حول آثار الفرقة، وانتشار القدرية بعمان، والثالثة دعوة الإمام إلى الانتصاح بما بدلي به الرجال الثقات. فهي مواضيع لا يشاهد بينها رابطة إلا بتكلف.

ولا نرى هذا التنوع في المضامين بين السير المذكورة مع تشابه عناوينها، إلا أن السير تحمل مضامين مقصودة؛ ينطلق الكاتب في صياغتها عن طريق الموقف الذي حدث للشخصية الواردة في العنوان، ثم يبسط الكلام في المضمون شرحا واستشهادا، ويظهر أن المقصد هو تقديم رسالة وتوجيه لمعاصريه، ولمن يأتي بعده.

11- ورد في كتاب "سير علماء الإباضية" سيرتان مهمتان في موضوع عقدي أثار ضجة في الساحة الإسلامية، ويتعلق بصفات الله تعالى، وبالتحديد في صفة كلامه عز وجل، ثم بتنزيل هذا الكلام حروفا أصواتا تتلى، ومن ثَم صار الناس يناقشون ما يسمى بكلامه تعالى النفسي، وفي تبيان أنه هل هو صفة ذاتية له تعالى؟ وهل هو قديم ليس بمخلوق؟

والناس في الجواب فريقان؛ منهم من يتحدث في عرضه على كلام الله تعالى وعلمه، ومنهم من يتحدث في شرحه على الحروف والأصوات التي كتب بها كلامه تعالى المنزل، فظهر إثر التفصيل في الموضوع على سبيلين وعلى حكمين ظاهرهما التعارض، وباطنهما أن كل طرف يناقش قضية غير ما يناقشه الآخر، وهذا النقاش هو الذي يدعى في العقيدة أو في علم الكلام "بخلق القرآن".

---

1) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 201.

لما ظهر من يقول بأن القرآن مخلوق، ظهر من يقول بأنه غير مخلوق؟ وظهر من ينفي الحكمين أصلا لأن المسألة لم تثر عند الصحابة، والذي يهمنا في بحثنا هذا أن هناك رسالتين منسوبتين إلى عالمين إباضيين من القرون الأولى، وتحدثا في القضية بشكل دقيق، وشرحا الموضوع بأدلة تفصيلية، بينما المتعارف عليه أن هذا التفصيل لم يعرف عند المسلمين بأبوابه وحيثياته إلا في القرون اللاحقة، وما وجد منسوبا إلى الأوائل يحتاج على مزيد تثبت وتمحيص. وعنوان السيرتين في كتاب "سير علماء الإباضية" هما:

"**سيرة أبي معاوية عزان بن الصقر (ت: 268هـ/ 818م)، في الرد على من يقول: بخلق القرآن**"[1].

"**رسالة الإمام مُحَمَّد بن أفلح (ت: 281هـ/ 894م)**"[2]. ومن المفيد أن نشرح قضية النسبة، بعد استحضار مجموعة من المعطيات، ومن ذلك.

– عثرنا على كتاب شبيه بسيرة أبي معاوية عزان بن الصقر العماني، ويتجلى الشبه في تتابع الاستدلال، وفي تماثل العبارات بين السيرة والكتاب المنسوب للإمام أحمد بن حنبل (ت: 241هـ/ 855م) والمسمى "الرد على الجهمية"[3]. ومادام هناك

---

1) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 277.

2) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 282.

3) أحمد بن حنبل: الرد على الزنادقة والجهمية، كله. وأشير إلى أني لا أرتاح في نسبة كتاب "الرد على الزنادقة والجهمية" إلى الإمام أحمد بن حنبل، ويعود هذا الارتياب إلى عدة اعتبارات، هذه بعضها:

1– قال عنه الذهبي: "وكالرد على الجهمية الموضوع على أبي عبد الله، فإن الرجل كان تقيا ورعا، لا يتفوه بمثل ذلك، ولعله قاله"، فالذهبي هو أول من نبه إلى ضرورة التحري في نسبة الكتاب، انظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء، 11/ 286.

2– بعد أن انتهى الكتاب المنسوب للإمام أحمد من ذكر ردود كثيرة على بعض التشكيكات في معاني

آيات القرآن الكريم، أورد التوثيق التالي: "قال الخلال: أخبرني إبراهيم بن جعفر بن جابر، قال: ثنا مُحَمَّد بن حبيب قال: أحمد بن حنبل رحمه الله، كتبت من العربية أكثر مما كتب أبو عمرو الشيباني.

قال الإمام أحمد رحمه الله وكان الجهم وشيعته دعوا الناس إلى المتشابه من القرآن والحديث فضلوا وأضلوا بكلامهم بشرا كثيرا.

فكان مما بلغنا من أمر الجهم عدو الله أنه كان من أهل خراسان من أهل ترمذ..". انظر: أحمد بن حنبل: الرد على الزنادقة والجهمية، 196.

يبدو لنا أن إعادة توثيق نسبة الكتاب إلى الإمام أحمد في داخل الكتاب المنسوب إليه، وبعد انتهاء مقطع وبداية مقطع جديد، يشير إلى أن هناك ارتيابا في نسبة المقطع الجديد إليه، وهو ما جعل النساخ يؤكدون النسبة.

3- تأكيدا على النقطة السابقة، فإن القارئ يجد بعض نسخ الكتاب أسقطت عبارة قال الإمام أحمد بن حنبل في بداية بعض الفقرات، وبعض الآخر يوردها، مما يظهر أن هناك ارتيابا في نسبة بعض الفقرات إلى الإمام أحمد. انظر: أحمد بن حنبل: الرد على الزنادقة والجهمية، 196، 204.

ونود أن نشير إلى أن جهد التحري الذي نقوم به حول نسبة الكتب إلى أصحابها، يدخل ضمن تقديم خطوة في إزالة اليقينية من المختلف حوله بين المسلمين، وذلك من خلال التثبت في نصوص الأوائل التي غالبا ما يتشبث بها أصحابها، والتي يظهر أن الكثير منها من تأليف المتأخرين وينسبونها إلى المتقدمين، وهي ظاهرة تفاقمت جراء التنافس المذهبي بين السنة والشيعة والإباضية، الأمر الذي يستدعي القيام بثورة عارمة في تحقيق التراث، وإعادة التدقيق فيما نسب إلى غير أهله.

وفي هذا الصدد أدعو إلى مراجعة ما تعلق بموضوع خلق القرآن الوارد في كتاب "السنة للخلال"، و"الإبانة لابن بطة" اللذين جالا وصالا في الموضوع إلا أن نسبة الكتابين إليهما محل نظر كبير جدا، من باب أن التوسع في هذا الموضوع لم يتبلور في القرون الأولى، وأشير إلى أنه لا ينبغي أن يتعلل بصحة نسبة هذين الكتابين وغيرهما بأن ابن تيمية وابن القيم قد اعتمدا بعض النصوص في كتبهما التالية: الفتاوى ومنهاج السنة لا بن تيمية، وفي الصواعق المرسلة لابن القيم، مع العلم أن هذه الكتب هي أيضا محل نظر في نسبتها إلى أصحابها.

وفي هذا الصدد لا أرى أن يقال للكتب المتقدمة التي وقع فيها شك، تأليف فلان، وإنما يقال: الكتاب المنسوب إلى فلان.

شبيه لهذه السيرة –يكاد يكون حرفيا– فدل على أن النسبة الواردة في عنوان السيرة هي محل نظر، فضلا عن أن نسبة شرح علمي دقيق لموضوع شائك يعود إلى الفترة المتقدمة غير مقبول عقلا.

– أما محاولة اكتشاف حقيقة النسبة في السيرة الثانية، وهي التي للإمام أبي اليقظان مُحَمَّد بن أفلح الرستمي، فإن أمرها غير يسير لعدة اعتبارات، منها:

أ– في النسخة الحجرية للجواهر المنتقاة، نجد أن البرادي لم يصرح بنسبة رسالة خلق القرآن إلى أبي اليقظان، وإنما أورد عنوانا فيه: "رسالة الإمام مُحَمَّد بن أفلح"[1]، ثم أورد عنوانا آخر فيه: "الخلاف الحاصل في خلق القرآن"[2].

ب– تبدأ الرسالة الأولى بقوله: "رسالة الإمام مُحَمَّد بن أفلح ﵁، من مُحَمَّد بن أفلح إلى جميع من بلغه كتابنا هذا من المسلمين، سلام عليكم فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، وأسأله الصلاة على نبي الرحمة، وهادي الأمة ﷺ، أما بعد: فإن أفضل ما يتواصى به العباد ويتحاضون عليه تقوى الله..." [3].

ثم يسترسل في التنبيه إلى طلب العلم واتباع الأيمة الصالحين، واجتناب الزيغ، ويحرض على مخالفة أهل البدع، وتختتم بقوله: "ونحن ذاكرون لكم ما فيه الكفاية إن شاء الله، وبه نستعين، وعليه نتوكل، وما توفيقنا إلا بالله"[4]. ويلاحظ تشابه الديباجة مع بقية السير.

---

1) البرادي: الجواهر المنتقاة، (طبعة حجرية)، 182.

2) البرادي: الجواهر المنتقاة، (طبعة حجرية)، 183.

3) البرادي: الجواهر المنتقاة، 202. اعتمدت النقل من البرادي عوض كتاب "سير علماء الإباضية"، لأن النص معقد، والكتابة غير واضحة في المخطوط.

4) البرادي: الجواهر المنتقاة، 203.

ج- ومما لاحظ أيضا أن النص بعد النهاية التالية: "وعليه نتوكل، وما توفيقنا إلا بالله"، صار معقدا كثيرا، وصار القارئ يستشعر تغير الأسلوب ونمط الطرح بين الفقرات اللاحقة، مما ينبئ أن الموجود حاليا تدخل فيه من تدخل، وأجرى فيه تعديلات. ولا بأس أن أشير إلى بداية كل فقرة، وانتهائها، ثم بداية التي تليها، إظهارا أن الذي أمامنا مجموعة نصوص لكثيرين.

"اجتمعت الأمة على أن القرآن كلام الله[1]... ونسأله العصمة والتأييد بمنه وإحسانه[2].

"واجتمعت الأمة على أن القرآن مجعول[3]... نعوذ بالله من العمى والخذلان، ونسأله العون والتوفيق"[4].

"وقد اجتمعت الأمة أيضا وجميع الأمم أن الكلام لا يكون كلاما[5]... وقد ذكرنا لكم من الشواهد ما لا يمتنع من قبوله"[6].

"ونحن ذاكرون لكم ما روي عن رسول الله ﷺ[7]... بالنقض على من أنكر

---

1) البرادي: الجواهر المنتقاة، 203.

2) البرادي: الجواهر المنتقاة، 205.

3) البرادي: الجواهر المنتقاة، 205.

4) البرادي: الجواهر المنتقاة، 209.

5) البرادي: الجواهر المنتقاة، 209.

6) البرادي: الجواهر المنتقاة، 214.

7) البرادي: الجواهر المنتقاة، 214. يلاحظ أن النص في هذه الفقرة يتوجه فجأة إلى سرد أحاديث ومرويات عن بعض الصحابة، وبذلك نحتمل أن تكون العبارة المكررة إيذانا بدخول أسلوب جديد في النص.

خلق القرآن... وبالله العصمة والتوفيق"[1].

"فعليكم معاشر المسلمين باتباع الماضين من أيمتكم[2]... من القول النافع، والعمل الصالح، والسلام عليكم، ورحمة الله وبركاته"[3].

فيظهر جليا أن رسالة الإمام مُحَمَّد بن أفلح ليست التي أمامنا حاليا، وإنما نحتمل أن الفقرة الأولى وبعض متناثرات في ثنايا النص الحالي هي فقط التي نحسبها من تأليفه.

د- وردت عبارة توحي أيضا بإشكال النسبة، وقد جاءت عقب الانتهاء من سرد كل الأدلة القائلة بأن القرآن مخلوق، وهي قوله: "فعليكم معاشر المسلمين باتباع الماضين من أيمتكم الصالحين؛ من أهل دعوتكم، رحمة الله عليهم، فاسلكوا مناهجهم، فقد كفَّروا من زعم أن القرآن غير مخلوق، وشهدوا بالضلال، ليس بينهم في ذلك تنازع ولا اختلاف، فإن سلكتم غير طريقهم، أو قلتم غير مقالتهم كان عندكم من مضى من سلفكم ضالا..."[4]، فتوجيه إمام متقدم الناس إلى أيمة متقدمين لا نعدها مستساغة، والله أعلم، وبخاصة وأن الرسالة تقدم أدلة إثبات منزع القول بخلق القرآن فكيف تختتم بالتحريض على اتباع الأيمة الصالحين، والموضوع لم يثر من قبل، والقضية لا زالت غضة طرية في عهد الإمام مُحَمَّد بن أفلح[5].

---

1) البرادي: الجواهر المنتقاة، 216.

2) البرادي: الجواهر المنتقاة، 216.

3) البرادي: الجواهر المنتقاة، 218.

4) البرادي: الجواهر المنتقاة، 199، 200.

5) انظر قراءة في حيثيات تبني الإمام مُحَمَّد بن أفلح لقضية خلق القرآن عندما كان في بغداد وسجن مع

هـ- بعد تقديمنا لجملة من المؤشرات التي نراها واضحة في عدم القبول نسبة السيرة المتعلقة بخلق القرآن إلى الإمام مُحَمَّد بن أفلح، تعترضنا رسالة البرادي الثانية حول التآليف والواردة في مخطوطة مستقلة عن كتابه، فتصرح بنسبة رسالة خلق القرآن إلى الإمام مُحَمَّد بن أفلح، بقوله:

"وأما تآليف أهل المغرب... جواب مُحَمَّد بن أفلح، ورسالته إلى المسلمين في الرد على من لا يقول بخلق القرآن"[1].

لكن الملاحظ أن البرادي لم يشر إلى هذه السيرة في رسالة التآليف الواردة في آخر كتاب "الجواهر منتقاة"، واكتفى بذكرها في رسالة التآليف المستقلة، والتي بدت لنا منقحة وشاملة، مقارنة بالأولى، كما أننا احتملنا سابقا أن بها تنقيحات تعود إلى غير البرادي.

- ولعل مما يعضد الارتياب في نسبة رسالة خلق القرآن كاملة بالصورة الحالية إلى الإمام مُحَمَّد بن أفلح، أن معاصره ومؤرخ الدولة الرستمية "ابن الصغير"[2] استفاض في حياة الإمام بشكل ملفت للانتباه، على خلاف ما فعله مع غيره، لكن مع ذلك لم يشر إلى أنه كتب رسالة في موضوع خلافي أثار نقاشا وجدالا منقطع النظير بين المسلمين، وهذا يزيد في طرحنا، أن الرسالة الحالية المنسوبة إليه، ليست بالضرورة هي الرسالة الأصلية التي حررها في الموضوع[3].

من سجن من المعتزلة: ابن ادريسو مصطفى: الفكر العقدي عند الإباضية، 308.

1) البرادي: رسالة المؤلفات، مخطوط ضمن مجموع بمكتبة الشيخ ازبار ببني يزقن.

2) ابن الصغير: أخبار الأيمة الرستميين، 64- 103.

3) واستنتاجنا لا يعني أن ننفي كتابة الإمام مُحَمَّد بن أفلح في موضوع خلق القرآن، لأن المصادر تكاد تتفق أن له عملا علميا متميزا في ذلك، لكن نتحفظ من الموجود حاليا.. ومن العلماء الذين أشادوا

12- يبتدئ الجزء الثاني[1] من كتاب "سير علماء الإباضية" بفهرس شامل للسير على شاكلة ما حدث في الجزء الأول، وصنفها وفق محاور منضبطة عموما، وأطلق عليها اسم "الباب"، فصار هذا الجزء مقسما إلى ثلاثة أبواب، هي:

الباب الأول يخص الرستاقية، وهم الموالون إلى الإمام الصلت، وعنونت باسم: "في سير الذين يبرأون من موسى بن موسى، وراشد بن النظر، ويتولون الصلت".

الباب الثاني حول المعارضين للإمام الصلت، وهي بعنوان: "سير الواقفين عن موسى بن موسى، وراشد بن النظر".

وعنوان الباب الثالث: "في سير شتى متفرقة عن المسلمين"، وتضم بين ثناياها سيرة منفردة في التواريخ منسوبة لابن مداد.

ويلاحظ أن السير المتضمنة في هذا الجزء عموما متأخرة عن سابقاتها زمانا، استنادا إلى الشخصيات الواردة في عناوينها، ويلاحظ أيضا أنها تفصل في أحداث الخلاف الواقع بعمان، بعد أن كان الجزء السابق في أحداث الخلاف الواقع حول عثمان بن عفان. وبهذا يظهر أن الناسخ أو الجامع لهذا الكتاب شخصية مثقفة، وله رصيد معرفي متميز، ولا يستبعد أن يكون له دور أيضا في إعادة تشكيل بعض السير وتهذيبها.

بكتابات الإمام مُحَمَّد بن أفلح، أبو زكرياء الوراجلاني (ق 5هـ/ 11م) الذي يقول عنه: "وله في الرد على المخالفين كتب كثيرة بليغة شافية"، انظر: أبو زكرياء الوارجلاني: السيرة وأخبار الأيمة، 144.

1) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 293.

13- توحي السير الواردة في الباب الأول من الجزء الثاني أنها متخصصة في قضية عزل الإمام الصلت بن مالك الخروصي وما جر ذلك من أحداث، وتقارن هذا الحدث بما وقع في عهد الصحابي عثمان بن عفان من فتنة، وتشرح كل ذلك بأسلوب مستفيض جدا، وبتكرار ظاهر، وتصوغ ذلك في قالب كتاب يسمى "السير".

وسنقوم بالحديث عن سيرتين أساسيتين في هذا العنصر، الأولى تسمى كتاب "الأحداث والصفات"، والثانية كتاب "الموزانة".

أ- أول سيرة في هذا الجزء سميت: "**كتاب الأحداث والصفات: تأليف أبي المؤثر**"[1]، وسنجري عليها قراءة متأنية، نظرا لطولها، وأهميتها:

- يلاحظ اختلاف الديباجة عما ورد سابقا، إذ نجدها تبتدئ بقوله: "الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على مُحَمَّد خاتم النبيئين، وسلام على عباده الذين اصطفى، وعلى جميع من سلم الله عليه من أهل السماوات وأهل الأرضين..."[2].

- ورد ذكر لأعلام بصيغة: "وكان المشهور فيهم يومئذ: مُحَمَّد بن علي القاضي، وسليمان بن الحكم، والوضاح بن عقبة، ومُحَمَّد بن محبوب، وزياد بن الوضاح بن عقبة ..."، فإن كان المؤلف أبو المؤثر فهو من طبقتهم، يفترض ألا يقال "والمشهور فيهم"، وإن كان غيره وهو المتبادر، فلا يصح أن نستخرج المؤلف من العنوان، لأن ما يرد في العنوان يعد حوصلة لما تتضمنه السيرة من معلومات.

- في السيرة حديث مستفيض حول تولي الإمام الصلت الإمامة في عمان

1) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 295.

2) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 295.

وعزله، وحول صراع الرستاقية والنزوانية، وأمر "موسى بن موسى" و"راشد بن النظر"، وهو خلاف دار سياسيا، ثم وجد له سند من العلماء الذين ناقشوه عقديا، وحكموه إلى ضوابط السياسة الشرعية، فتفاقم أمر الخلاف، وأثار حفيظة العلماء، وتسبب في تدوين سير كثيرة. ولا ندري مصداقية نسبتها إلى المذكورين في عناوينها، نظرا للتفصيل الدقيق للقضية، والإطناب الشديد لحيثياتها، والتكرار الممل للوقائع داخل السيرة الواحدة، وبين السير المختلفة، مما يجعل القارئ يشك أن العلماء المعايشين للحدث، أو الذين جاؤوا بعد الحدث مباشرة هم الذين أشغلوا أنفسهم بتلك التفاصيل.

وإن عقدنا مقارنة بين ما حدث في عمان، وحول ما دار في شأن الصحابي عثمان بن عفان عند عزله، وما أعقبه من فتن بعد ذلك، سيظهر أن حدث عثمان وما بعده أحدث وقائع وأحداثا، وأما الكتابة عنها فكانت بعد ذلك بأمد، بخلاف ما حدث في عمان، فنسبت السير لصانعي الأحداث أنفسهم، كـ: "أبو المؤثر الصلت بن خميس الخروصي (ق 3هـ/ 9م)" مما يجعل الناقد مرتبك في قبول النسبة.

– تتضمن السيرة تفصيلا في مسائل الفقه التي يبدو أنها لم تتبلور في الزمن المتقدم، ومن ذلك العبارات التالية:

"... والذي أدركنا عليه أشياخنا وأهل الفقه من أسلافنا"[1]،

"وعرفناه من رأي فقهائنا أن الإمام إذا سافر فصلى الناس أربع ركعات من بعد

1) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 297.

حتى يرجع، لم نعلم بينهم في هذا اختلافا"[1].

فالعبارتان لا توحيان أن المتحدث متقدم كأبي المؤثر، لأنه يستند في الاستدلال على جزئية فقهية متعلقة بالتوقيت بين الأذان وصلاة الجمعة، وعلى الاعتماد على تطبيقات من سبقهم، ويفترض أن هذه الطريقة في الاستدلال يوظفها المتأخرون الذين يرجعون إلى من سبقهم من الأوائل.

- وردت مصطلحات يبدو أنها مستبعدة للمتقدمين، مثل:

"وكان يقول فيما بلغنا، أن **الدولة** في أيدي الفسقة"[2]،

"وقد صارت صحار ماكلة [كذا] لفساق **السلطان**، لأن فيها تجارا وذمة ضعفاء"[3].

فنستغرب أن ينعت أبو المؤثر الحاكم الإباضي بأنه سلطان، وحاشيته من الفساق، وهذا ما يؤيد أن المؤلف ليس هو المذكور في العنوان، وإنما هو شخص تشبع بالمعطيات التاريخية، فصار يحلل الأحداث وفق منظور شامل، ووفق من تحصل على معطيات تاريخية زاخرة، وهذه لا تتأتى لغير مؤلف من المتأخرين، ولا نستبعد أنه جاء بعد القرن التاسع الهجري.

- ورد اسم شخصية لا ندري هل هو الخليفة الأموي، أم أنه شخص غيره؟ ونجد هذا في قوله: "كما فعل **عمر بن عبد العزيز** ببسطام الصغرى"[4]، كما وورد اسم شخصية حاكمة في اليمن، لا ندري أهو إباضي أم لا، وجاء في النص التالي:

---

1) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 313.

2) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 297.

3) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 315.

4) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 317.

"وقد بلغنا أن إماما من أيمة المسلمين يقال له **سليمان بن عبد العزيز** في حضرموت"[1].

فهذه شخصيات يجهل عنها الكثير، ولا ندري كيف نتحصل على حياتهم، مع العلم إذا كانت السيرة من تأليف أبي المؤثر، فيفترض أن العمانيين وغيرهم قد حللوا السيرة عبر الزمن الطويل الذي بين التأليف وبين عصرنا الحالي، ويفترض أن يظهر شراح ومعقبون ومحللون كثر، لكن يبدو لا شيء من ذلك وقع!

– يذكر كتاب "سير علماء الإباضية" سيرتين منسوبتين لنفس الشخصية، "أبي المؤثر"، وهذان التأليفان هما:

"كتاب الأحداث والصفات"؛ تأليف أبي المؤثر. وهو الذي ندرسه.

"كتاب البيان والبرهان: ردا على من قال بالشاهدَين: تأليف أبي المؤثر، منسوخ من نسخة معروضة على أبي الحواري"[2].

– لقد بينا بعض فقرات السيرة الأولى ورأينا ما يحوم حولها من إشكال النسبة. أما السيرة الثانية فعنوانها يشير إلى أن عقد الإمامة لغير الإمام الصلت بناء على إقرار الشهود ضده يعد باطلا، ويظهر عنوانها أيضا أن السيرة استفادت من الأولى واقتبست من "كتاب الأحداث والصفات"، وبالضبط من نسخة قرأت على العالم أبي الحواري، ولعل النص الوارد في السيرة يعبر عن ذلك، إذ قال:

"مع أنا أخبرنا في كتاب "الأحداث والصفات" ما تصح به الإمامة.

وأخبرنا بمقالة المسلمين فيه، فليس نحتاج إلى القصد إليه في هذا الكتاب، دون

---

1) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 308.

2) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 320.

ما إياه، اعتمدنا من إبطال مقالة فيمن قال بالشاهدين"[1].

لكن مادمنا لا نستطيع أن نجزم بصحة نسبة السيرة التي أمامنا حاليا والمسماة "كتاب الأحداث والصفات" إلى أبي المؤثر، فمن باب أولى سيقع لنا ارتباك في النسخة التي اقتبست منها، والتي سميت بـ: "البيان والبرهان".

فالنتيجة هي أن عناوين السير ليس لها دلالة على مضمونها، مادام وقع فيها تغيير وتحوير عبر الزمن، فضلا عن أن المقارن بين السيرتين السابقتين على شكلهما الحالي، لا يجد توافقا بينهما، ولا يستطيع أن يقر أن الأولى أصل للثانية، ولا أن الثانية أصل للأولى، فالكل مغاير تماما للآخر.

– هناك سيرة ثالثة تنسب إلى أبي المؤثر أيضا، وتسمى: "**سيرة أبي المؤثر الصلت بن خميس**"[2]، يلاحظ فيها وورد لفظة التالية في نصها: "ومن غير السيرة: قال أبو مالك"، وذكرت ثلاث مرات[3]، ولا مراء أن العبارة توحي بإضافة من غير المؤلف، وهذا دليل على أن السيرة فيها إضافات كبيرة ليست لأبي المؤثر، ومما يؤيد هذا مجيء عناوين جزئية تفصيلية في السيرة، وهي: في التوحيد، في القدر، في الأسماء والصفات، في إثبات الوعيد، في أسماء أهل الكبائر، في قتال أهل البغي والجبابرة، في ذكر اختلاف أصحاب النبي ﷺ، ذكر فرقة الناس، ذكر أيمة المسلمين من أصحاب النبي ﷺ ومن بعدهم، ذكر الأمر بالمعروف والنهي عن

---

1) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 324.

2) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 334.

3) انظر: سير علماء الإباضية. "ومن غير السيرة قال أبو مالك في ذات المحرم:" ص 337، "ومن غير السيرة قال أبو مالك: المعنى في هذا قامت عليه الحجة" ص 338، "ومن غير السيرة قال أبو مالك: إن أبا المنذر، قال: إنه معذور"، ص 338.

المنكر، في الولاية والبراءة[1].

فيستبعد كثيرا أن يكون هناك تأليف ينسب إلى عالم من القرن الثالث الهجري وله نمط في التأليف كالذي أمامنا، ولعل توظيف لفظة "الرافضة" في نص إباضي متقدم غير وراد، في حدود تعاملي مع المصادر الإباضية المتقدمة والصحيحة النسبة إلى أصحابها.

– وتوجد سيرة رابعة تنسب إلى ذات المؤلف، وتسمى: "**سيرة من أبي المؤثر الصلت بن خميس إلى أبي جابر مُحَمَّد بن جعفر**"[2]، لكن هي كذلك لا علاقة لها بسابقاتها، ولعل هذا الاختلاف ينبئ أن مؤلف السير الذي اعتبرناه جامع السير كان يؤلف من نصوص مقتضبة أمامه منسوبة إلى المذكورين في السيرة، ثم يشرح ويفصل ويطنب، وترك العنوان كما وجده أول مرة.

ب– وردت سيرة باسم: "**كتاب الموازنة: الشيخ أبي مُحَمَّد عبد الله بن مُحَمَّد بن بركة**"[3]، تميزت بتكرار عبارة عشرين مرة، وهي قوله: "وأما ما ذكرت من قولهم إنهم قالوا:..."، والتكرار يوحي بأن الكتاب شرح لنص سابق. ولعل في تنوع مواضيعه، وتنقله بين القضية الأساسية للكتاب وهي عزل الإمام الصلت، ثم

---

1) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 339 – 352. انظر وجهة نظر ابن ادريسو، الفكر العقدي عند الإباضية، 218، 219.

2) ورد في كتاب السير والجوابات أن هذه السيرة نسخت من نسخة مؤرخة في 1009هـ، فدل هذا التاريخ على أنه لا يصح أن يتعدى جامع السير الذي افترضناه أنه يحرر ويشرح السير، تاريخ القرن العاشر الهجري. انظر: علماء وأيمة عمان: السير والجوابات، 2/ 420.

3) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 401؛ علماء وأيمة عمان: السير والجوابات، 2/ 384.

الحديث عن أن "أسماء الله تعالى وصفاته قديمة"، وفي خلق القرآن، وأن "من أقر بالجملة لا يسعه جهل ما أقر به من تفسير جملته"، وإحباط الأعمال، والتأويل، وأن الناس متعبدون بالعمل دون القول، والتقليد في الفتيا، ما يشير إلى أنه في الرد على أحد مخالفيه[1]. ولا نجانب الصواب إن اعتبرنا كتاب الموازنة من القلة التي لم تمسها يد الإضافات والزيادات، فتشوش النسبة لصاحبه.

14- بعض السير تنقم على الذين عزلوا الإمام الصلت كبقية السير في كتاب "سير علماء الإباضية"، وفيها إشارات إلى سير أخرى، مما يستدعي إجراء مقارنة بينهما.

- في داخل السيرة المعنونة بـ: "**سيرة لبعض فقهاء المسلمين**"[2]، إشارة إلى سيرة أخرى، وجاءت صيغتها هكذا: "فأعرض عليهم سيرة المسلمين ... وهي السيرة التي توجد عن أبي المنذر بشير بن مُحَمَّد بن محبوب رحمه الله"[3]. وبالرجوع إلى السيرة الأخيرة لأبي المنذر[4] شاهدنا تشابها في طرح الموضوع بينها وبين السيرة السابقة "سيرة لبعض فقهاء المسلمين".

- ونلاحظ أن التشابه لم يقف عند حد النص، وإنما يتمثل في أن السيرتين

---

1) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 411- 417.

2) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 434؛ علماء وأيمة عمان: السير والجوابات، 1/ 379.

3) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 437.

4) سيرة أبي المنذر بشير بن مُحَمَّد بن محبوب في الحدث الواقع بعمان؛ انظر: سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 382.

تحويان داخلهما على عبارة يستشف منها نهاية السيرة، ثم نجد التكملة، وهذا واضح فيما يأتي:

في سيرة لبعض الفقهاء العبارة التالية: "ونسأل الله أن يهدينا .. والسلام عليكم، وصلى الله على مُحَمَّد النبي وآله وسلم تسليما، تمت السيرة"[1].

وفي سيرة أبي المنذر ورد قوله: "لكنا نقتصر على ما قد ظهر لنا من عللهم إن شاء الله، والتوفيق بالله والعصمة منه أنه هو أرحم الراحمين"[2].

فكلا النصين يكملان الكلام بعد الفقرتين اللتين تدلان على انتهاء السيرة، مما يجعلنا نحتمل أن أصل السيرتين واحدة، وأن الجامع أو محررهما تولى تغيير النص وإجراء إضافات في النص الأصلي المفقود حاليا، فظهرت النتيجة أن هناك سيرتين مستقلتين، مع أن أصلهما واحد، والله أعلم.

15- بعض السير عناوينها لا يستفاد منها معلومة مضبوطة حول طبيعة السيرة، هل هي رسالة؟ أم جواب؟ أم تقرير؟ أم كتاب؟ وهذا يعزز قضية أن السير كانت

---

1) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 438. وبما أن السيرة قد وردت في الكتاب المطبوع بتحقيق سيدة إسماعيل كاشف، فإنها سجلت في الهامش بعد العبارة السابقة "والسلام عليكم، وصلى الله على مُحَمَّد النبي وآله وسلم تسليما"، قولها: "كتب بعدها عبارة –تمت السيرة– ثم أكمل الناسخ النص". انظر: علماء وأيمة عمان: السير والجوابات: 1/ 388.

فالمحققة لم تستسغ أن تنسب عبارة "تمت السيرة" إلى كاتب السيرة، وإنما عدتها من عمل الناسخ، وهو ما يدل على أنها وجدت نصا غامضا ومعقدا فلم تفهم الأمر، غير أن تقول بأن العبارة للناسخ. لكن الحقيقة أن العبارة وردت في السيرة ضمن متنها الحالي، وهي من الإشكالات التي لا نجد لها تفسيرا حاليا، غير أن نعتبر أن هناك جامع السير متأخر، قد تدخل في السير وحورها وهذبها.

2) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 383.

بشكل معين، ثم جاء من طور نصها وعدل فيها، فأضاف وحذف، وجعل كل ذلك بأسلوبه، حتى لم تبق رائحة للكاتب الأصلي الذي يفترض أنه كتب تلك السيرة ذات يوم، ومن أمثلة هذا النموذج:

"**من بعض الجوابات: كتاب بشير بن مُحَمَّد بن محبوب** (حي في: 273هـ/ 886م)، **مختصر منه إلى من كتب من المسلمين**"[1].

"**من بعض الجوابات، لم أجده منسوبا إلى أحد**"[2].

يستبعد جدا أن نقترح نسبة هذه السيرة إلى أحد من الناس، وبعض فقراتها لا تسعفنا أن نحتمل أنه يرجع إلى القرون الأولى، ومن ذلك: "وصل كتابك تذكر فيه أحداثا لأهل عمان أحدثت في عصرنا، وانتشرت عنهم في مصرنا، ثم جعلت لها نظائر في أحداث أيام المهنا، بعد أيمتنا، وما كان في ذلك من قول فقهاء أهل دعوتنا، ثم حثثت في كتابك على الألفة واجتماع الكلمة والتمسك بالنحلة وترك إيقاع الخلل في الجملة... فجزاك الله خيرا بما أهديت... إلا أنك لم تذكر حدثا بعينه، ولم تسم محدثا باسمه، وقد كان بعمان أحداث كثيرة"[3].

فالإحالة الواردة في السيرة إلى المتقدمين تثبت أن المؤلف للسيرة من المتأخرين يبحث عن مستند من المتقدمين للأحداث الواقعة في عصره، ويبرز هذا جليا في قوله: " تذكر فيه أحداثا لأهل عمان أحدثت في عصرنا".

1) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 439.

2) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 441.

3) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 441.

16- توحي السير الواردة في الباب الثاني من الجزء الثاني بأنها متخصصة في قضية المناصرين للذين عزلوا الإمام الصلت بن مالك الخروصي، تحت عنوان عام: **"في سير الواقفين عن موسى بن موسى** (ت: 278هـ/ 891م)، **وراشد بن النظر** (ت: 285هـ/ 898م)"[1]. ومهتمة أيضا بقضية المعارضين للإباضية؛ مشرقا ومغربا. وهذه السير مثل غيرها لم تحل إشكال النسبة، رغم أنها تنسب إلى شخصيات متأخرة عن أسماء الواردين في سير الجزء الأول.

- **في نصيحة وكلام للأزهر بن مُحَمَّد بن جعفر** (حي في 272هـ/ 886م) **لأهل الدين:**

تميزت هذه السيرة عن سابقاتها بحديث المؤلف عن نفسه في نص السيرة بأنه هو المؤلف، ونجد ذلك في قوله: "وعندي علم بتلك الأخبار، وقد رأيت ... أن أؤدي معرفتي، وأبلغ حجتي، **فألفت في هذا الكتاب من الآثار**، ورجوت أن ينتفع به أهل الأسماع والأبصار... وأعلمكم أن هؤلاء المشايخ الذين وقع بينهم ما وقع، وجرى فيهم الاختلاف، وكانوا هم الأيمة والقواد، وأعلام العباد في البلاد... وأولهم الصلت بن مالك"[2].

ويتجلى كلام المؤلف بجلاء أيضا في قوله: "وقد قدم راشد، فكان يختلف ويلقى والدي في تلك الأسباب، وقال لوالدي وأنا أسمعه: قال لي أبو علي"[3]. كما يظهر الحديث عن نفسه في قوله: "ولما نقضت تلك الأمور بما فيها، ورأيت

1) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 443.
2) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 444.
3) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 444.

اختلاف الناس، **رأيت الوقوف أولى بي**، ورجعت إلى الاستغفار والمتاب... وقولي في هذا قول المسلمين..." [1].

ويصعب مع وضوح اسم المؤلف والإشارة إلى نفسه في النص بأن نعد هذه السيرة بقيت على صيغتها الأولى حين التأليف، لأن في النص بعض العبارات المبهمة، مثل: "ورجع نسخة، خرج موسى أيضا"[2].

فالسيرة تظهر شخصية مؤلفها، لكن مع ذلك تبقى غامضة لاحتمال تدخل متأخرين بالزيادة، الأمر الذي يجعل الغموض حول النسبة هي السمة البارزة في فن السير العمانية.

– ورد في ديباجة "**سيرة إلى الإمام الصلت بن مالك المبتلى بأمور أهل عمان**"[3]، قوله: "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، قال بعض: أرجو أنها من أهل المغرب، إلى إمام المسلمين الصلت بن مالك"، ويأتي الارتياب في هذه السيرة من كون المصادر المغربية لا تشير إلى رسالة قادمة من الإمام الصلت الذي حكم عمان في أواخر عهد الدولة الرستمية إلى أهل المغرب، كما أن ديباجة هذه الرسالة شبيهة بالرسائل المرسلة بين أهل عمان أنفسهم، وهي قولهم: "سلام عليكم، فإنا نحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو"[4].

ومما يزيدنا في ارتياب نسبة السير إلى أصحابها، وفي اعتبار أن مؤلفها واحد لكثير من السير، كون السيرة السابقة "في نصيحة وكلام للأزهر بن مُحَمَّد بن جعفر

1) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 446.
2) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 445.
3) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 451.
4) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 451.

لأهل الدين"[1]، وسيرتنا هذه أوردتا مصطلحا مغربيا خاصا، وهو "الوقوف"[2]، فكأن الجامع للسير –الذي نسبنا إليه التأليف– حينما أراد أن يشرع في الحديث عن أهل المغرب، بدأ يوظف مصطلحاتهم، في سيرتهم هذه، وفي السيرة التي قبلها.

– داخل نص السيرة السابقة التي يقال إنها من أهل المغرب، يرد نص جديد لم يشاهد قط في كل ما سبق، وهو الحديث عن المنشقين الإباضيين الذين يحكمون الإمامات؛ مشرقا ومغربا، فأورد أسماء أعلامهم، ونبه إلى أسباب اختلافهم، ونحن لا نشك أن الحديث عن المعارضة الإباضية لم يتبلور زمن الحدث، وإنما تقنن من قبل المتأخرين المنظرين للأحداث بمنظار واسع وشامل، ولعل الحديث عن المنشقين من الأدلة الدامغة في أن هذه السيرة لم ترسل إلى: "الإمام الصلت بن مالك الخروصي"، ولا نجانب الصواب إن عممنا النتيجة على باقي السير. وللتدليل على رأينا بنصوص السيرة، نورد ما يأتي:

"ثم افترقت الإباضية على ثلاث فرق؛ منهم"[3].

"شعيب وأصحابه، وعبد الله بن يزيد وأصحابه، ثم من بعدهم هارون المخالف للمسلمين، الخارج من عدل الحق ونوره، وهم الذين يقال لهم الشعبية.

وفرقة ثانية: وهو عبد الله طريف، صاحب عبد الله بن يحي...

ونحن وأنتم معاشر الإخوان، الفرقة الثالثة، الذي قلنا إن الحق في أيدينا من جميع أهل هذه الفرق"[4].

---

1) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 446.

2) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 451.

3) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 461.

4) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 461.

17- توحي السير الواردة في الباب الثالث من الجزء الثاني بأنها سير لا يشملها موضوع واحد، ولذلك أطلق عليها الجامع تسمية: "**في سير شتى متفرقة عن المسلمين**"[1]، وهي في أحداث متأخرة كثيرا عن سابقاتها الواردة في البابين السابقين، فضلا عن تأخرها مما ورد في الجزء الأول من الكتاب "سير علماء الإباضية". وفي قراءتي لهذه السير سأكتفي بذكر بعض السير التي سجلنا عليها ملاحظات، باعتبار أنها تضيف لنا شيئا جديدا، ومن ذلك:

- "**سيرة القاضي نجاد بن موسى المنحي** (ت: 513هـ/ 1119م)"[2]، هي رد حول رسالة اسمها: "رسالة الاستعداد فيما لا يسع المكلف جهله"[3]، لابن التاج، ولا نشك أن السيرة محفوظة كما ألفها صاحبها، ذلك لأن فيها رجوعا إلى نصوص رسالة الاستعداد ثم الرد عليها، ويلاحظ عند قراءتها أنها باقية على أصلها الأول، ويا ليت كل السير كانت واضحة في عرضها كهذه.

ونشير إلى أن القاضي نجاد كان متفاعلا في رده حتى أنه صار يصف علماء الإباضية بأوصاف يبدو أنها لم تكن منتشرة، إذ قال: "وأما الذي عرفناه من **إمامنا المهدي**، وقدوتنا ابن محبوب الإباضي"[4]، فهذا مما لم يتداول في الفكر الإباضي الأول حسب علمنا.

- وفي الباب ترد مجموعة من السير متعلقة بالتواريخ، مما يعطي لنا دليلا بأن

---

1) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 471.

2) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 535.

3) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 535.

4) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 538.

الجامع كان ينتقي السير ذات الوحدة الموضوعية، ويرتبها في كتاب "سير علماء الإباضية"، ونتصور أيضا أنه كان يدرك أن بعضها مهذبة وأن بها إضافات ومع ذلك ترك العناوين على صيغتها الأولى، وغير مستبعد أنه كان يحرر بعضها وينمقها، لكن دون أن يظهر نفسه، وهو ما يربك القارئ للسير. ولعل السير الأخيرة المتضمنة تواريخ الأعلام تظهر ما ذكرنا جليا، وتبين أنها غير متقدمة، وإنما تعود إلى ما بعد القرن التاسع الهجري، كما استنتجنا في السير السابقة، ولعل بعضها يعود إلى أبعد من ذلك حسب التواريخ التي تحويها، وعرضها يوضح المستور إن شاء الله.

– **سيرة تنسب في آخرها إلى مُحَمَّد بن عبد الله بن مداد** (ت: 917هـ/ 1511م)، **فيها صفة نسبِ العلماء، وموتِهم، وبلدانِهم، والأيمةِ رحمهم الله**[1].

إن العنوان جلي أنه غير سليم، وفيه غموض، مما يعبر عن إمكانية حدوث تغيير فيه، وبالتبع حدوث تحوير في النص بعد مؤلف السير المذكور في العنوان: ابن مداد.

وضح صاحب السيرة أنه لم يسبق إلى عمل يجمع أسماء أعلام الإباضية ونبذة عن حياتهم، فسعى أن يحققه بحسب استطاعته وقدرته، فقال: "وبينت من ذلك ما وجدته متفرقا في الكتب، لأني لم أجد له بابا، ولم أقف عليه مجموعا في كتاب، ولا تلقفته عن أولي العقول والألباب... إلا أني لا بد لي أن أكتب ما بان لي"[2]. فالسيرة منهجها واضح، فهي تنقل حياة العلماء وأعمالهم، وقد ألفت على غير

1) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 564.

2) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 564.

عمل علمي سابق عليها، لذلك ترجى صاحبها العفو عن الزلل فقال: "فظني في الأخ أن لا يخفى عليه ما كتبته، ولا يسد عليه ما قد شرحت له، ونسبته"[1]. ويلاحظ أن ابن مداد كان يقدم شرحا عن حياة كل عالم، ويعرض كل طرفة رويت عنه، ويذكر ما اشتهر به من التآليف عند الخاص والعام.

وقد بدأ التراجم بالصحابي الجليل عبد الله بن عباس ﷺ، ثم أبي الشعثاء جابر بن زيد، وهكذا، والملاحظ أنه يذكر بعض الأعلام ولا يشير إلى أن لهم سيرا ولا ينقل عناوينها، مع أنها مذكورة في كتاب "سير علماء الإباضية"، ونذكر من ذلك: "سيرة خلف بن زياد البحراني"، وسيرة أبي قحطان، وهذه الملاحظة تجرنا أن نتساءل، هل اطلع صاحب السيرة على المجموع "سير علماء الإباضية"؟ وهل وجد المجموع بصفته الحالية في عهده؟ وهل كانت السير بعددها في المجموع متداولة في عصر ابن مداد؟

والأمر الذي يلاحظ أيضا في السيرة أنها لما أوردت أول ذكر لتاريخ وفاة عالم – وهو أحمد بن صالح- وكان ذلك "يوم الأحد من ربيع الأول، عند ارتفاع الشمس سنة تسع وسبعين سنة بعد خمسمائة (579هـ/ 1183م)"[2]، انتقلت بعدها مباشرة إلى نقل المعلومات عن الصحابة نقلا من كتاب "أبي جعفر سعيد بن الحكم"، ثم تستأنف السيرة في العرض والاستطراد في حياة العلماء، ولعل ذلك من الإضافات المتوقعة في السيرة، وبخاصة أن القارئ يعثر في هذا الاستئناف على تكرار لبعض التراجم مما ورد سابقا، وإن صح الاحتمال، فحبذا لو تُحقق جميع السير في

1) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 564.

2) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 570.

الكتاب، على نية استخراج النص الدخيل من النص الأصلي، في صيغته الأولى.

– في وسط السيرة يرد فصل معنونا هكذا: **"فصل في معرفة إسناد دين أهل الفوز"**[1]، واهتم هذا الفصل بتتبع سلسلة نقل العلماء العلم عن بعضهم بعضا، بداية من أبي المنذر سلمة بن مسلم عن الشيخ سعيد بن قريش، ثم يواصل على هذا النهج حتى يصل إلى الرسول ﷺ. ويبدو أن هذا الفصل استغل المادة المعرفية الواردة في السيرة السابقة، فنظم عقد العلماء وترتيب أخذ العلم عن بعضهم، مبرزا الشيخ والتلميذ في سلسلة تسمى عند الإباضية بـ"نسب الدين"[2].

– بعد تمام الفصل السابق بعبارة "تم ما وجدته من إسناد الدين"[3]، ودون أن ندرك جزما من هو المتكلم، أهو صاحب سيرة ابن مداد؟ أو هو جامع كتاب السير ومهذبها؟ يأتي عنوان آخر هو: **"تفسير أسماء نقلة العلم من البصرة"**[4]، وفيه ذكر من تتلمذ على يد أبي عبيدة مسلم، ومن تتلمذ أيضا على يد الربيع في البصرة ثم قدم إلى عمان بعد نهاية دراسته. والسيرة صغيرة جدا.

– ترد سيرة تحمل مجموعة من التواريخ غير مرتبة زمنيا، ومعنونة بـ:**"تواريخ الأيمة والعلماء، وتواريخ موتهم"**[5]، ولا يشير صاحبها لا إلى مصدره ولا معتمده في هذا الضبط المتناهي لوفاة علماء أفذاذ من لدن الإمام الجلندى بن مسعود.

والعبارة التي يكثر من ذكرها، هي قوله: "ووجدت"، وبعدها يشرع في سرد

---

1) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 572.
2) انظر: معجم مصطلحات الإباضية، 2/ 996.
3) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 573.
4) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 573.
5) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 573.

المعلومة. أما العبارة المثيرة داخل السيرة هي قوله: "قال المؤلف أكثر ما وجدت تاريخ أبي القاسم سعيد مُحَمَّد بن أحمد بن مُحَمَّد بن صالح أنه مات (579هـ/ 1183م)[1]"، ولا يخفى أن هذه المعلومة قد وردت في سيرة ابن مداد[2]، وبذلك صح أن نستنتج أن السيرة المعنونة بـ: "تواريخ الأيمة والعلماء" تعد تكملة لما ورد في سيرة ابن مداد، وإثراء لما ذكر سابقا بتواريخ مضبوطة عن الوفيات.

ونستنتج كذلك أن مؤلف "سيرة ابن مداد"، و"تواريخ الأيمة" مختلفان، وأنهما من عصرين متباعدين، ذلك لأن صاحب سيرة "تواريخ الأيمة" يعلق على تاريخ "أبي القاسم سعيد" والمذكور عنده وفي سيرة ابن مداد بقوله: "وهو الأصح عندي، لأني وجدت في نسخ متفرقة عدة غير قليلة، وقد كان موته ..."[3]، فقوله "نسخ متفرقة عدة"، يشير صراحة أنه تحصل على نسخ متفرقة مكانا وزمانا، وهو المتبادر.

والنتيجة المستخلصة من قراءة السيرتين، هي أن إحدى السيرتين أصلية "سيرة ابن مداد"، والأخرى "تواريخ الأيمة" تبعية وتكرار مع التنقيحات، ولعل هذا ديدن بقية السير الواردة في كتاب "سير علماء الإباضية؛ بعضها أصلي النسبة لأصحابها، والأخرى تبعية صيغة على منوال الأولى، لكن في كلتي الحالتين لا نستبعد حدوث تدخل في النص، والله أعلم.

ومما يلاحظ أيضا أن التواريخ غير منتظمة في سيرة "تواريخ الأيمة والعلماء"، إذ

1) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 577.

2) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 570.

3) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 577.

نجد اهتماما بقرن أو أكثر معين، ثم يرجع إلى قرون سابقة عليهم، وكأني بهذه السيرة تشير إلى أكثر من متدخل في النص، وتعبر عن حصول تنقيحات وزيادات من غير صاحب النص الأول، ولعل وجود العبارات التالية: "ومن بعض آثار المسلمين، يوجد أنه بخط يحي بن أبي زكريا، قال: أخبرني..." [1]، وكذا: "قال غيره: وأخبرني..." [2]. يثبت حدوث الإضافات في السيرة، ويا ليت المحققين لهذه السير، وللكتب التي ألفت على طريقتها –الموسوعات العمانية– أن يعاد تحقيقها من جديد بمقصد استخراج النص الأصلي من المتأخر، واستنفاد الجهد الكبير في البحث عن النسخ الأقدم للمخطوط، والأقرب لعهد المؤلف، حتى تسقط كثيرا من الإثراءات التي جاءت بعد المؤلف، وهو ما نعاني منه في كتاب "سير علماء الإباضية"، لأننا احتملنا أن الزيادات في بعض السير طغت على النص الأصلي، فلم تبق رائحته ولا طعمه الأول.

وبالرجوع إلى آخر تاريخ مذكور في السيرة وهو المتعلق بـ: "سلطان بن عدي بن معمر"، سنة (797هـ/ 1395م)[3]، يمكن أن نحتمل أن كاتب السيرة يعود إلى القرن التاسع الهجري، وغير مستبعد أن يكون هو جامع أغلب السير، وهو المؤلف للكثير منها، بحسب ما تقدم بين أيدينا.

– تتواصل عناوين السير الخاصة بالتواريخ، فتأتي سيرة معنونة بـ: "تاريخ موت النبي ﷺ وأصحابه والتابعين من بعدهم"[4]، وسيرة أخرى: "ذكر تواريخ

1) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 579.
2) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 579.
3) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 580.
4) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 580.

المصطفيات من النساء"[1].

– وإذا أكملنا تتبع السير، سيظهر لنا العنوان التالي: "**بعض التواريخ**"[2]، وهو عمل صغير يفتتح بوفاة العالم "مُحَمَّد بن عبد الله بن مداد" سنة (917هـ/ 1511م)، ثم يأخذ في التنازل في عد وفيات السنوات السابقة عليه، وهذا يشعرنا أنه من الإضافات على سيرة ابن مداد، لكن بعنوان مستقل، وبنص خارج عن إطار النص الأصلي، مما يعني أن الإضافات بعد عصر ابن مداد صارت منهجية ومضبوطة، بخلاف ما مر سابقا من السير من العهد الأول إلى غاية القرن التاسع الهجري فإننا وجدنا أن صيغتها متداخلة بين النص الأصلي وبين إثراءات من جاء بعد المؤلف. كما لا نستبعد أن تكون ظاهرة الزيادة والتحوير في سير علماء الإباضية بدأت في عهد ابن مداد أو من بعده[3].

وفي آخر هذا العنوان نجد عبارتين مهمتين هما:

"خرج سليمان بن مظفر من بهلا سنة ثماني عشرة سنة بعد ألف سنة (1018هـ/ 1609م). حُرب حصن بهلا في الشهر المحرم في أول السنة، سنة تسع عشرة سنة

---

1) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 586.

2) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 586.

3) ولعل ما يؤيد ذلك أن عائلة مداد –مداد، وولداه مُحَمَّد وعبد الله– هي التي تولت مهمة إعادة كتابة الجزء 17 من كتاب بيان الشرع، كما أن الابن الآخر أحمد بن مداد تنسب إليه الزيادات الواردة في بيان الشرع، انظر: بدرية بنت علي بن جمعة الشعيبي: عائلة آل مداد العلمية، الشيخ مُحَمَّد بن عبد الله بن مداد الناعبي نموذجا، مجلة المنهاج، العدد 4، محرم 1437هـ/ أكتوبر 2015م، نشر جمعية أبي إسحاق إبراهيم اطفيش لخدمة التراث، غرداية، الجزائر، ص 204، 205.

ومما يؤكد صحة فرضيتنا أننا قد أظهرنا عند مقارنة كتاب السير العمانية مع كتاب الجواهر المنتقاة للبرادي أن التحويرات جرت في القرن التاسع الهجري أو بعده.

بعد ألف سنة (1019هـ/ 1610م)" [1].

"تم هذا الكتاب المجموع مما جمعه وألفه الشيخ الفقيه العالم العامل التقي الورع ... مُحَمَّد بن عبد الله بن مداد، بعد أن طلب عليه بعض الإخوان أن يعرف جملة العلماء المتقدمين، وأسماءهم، وبلدانهم، وشيء غير ذلك من علم الأبدان [كذا]، وموت بعض العلماء، ومولدهم، وموت الأنبياء، وموت المصطفيات من نساء النبي ﷺ".

فالعبارة الأولى تبين بوضوح عصر الذي نقح السير المتعلقة بالتواريخ، وأنه جاء بعد ابن مداد، وعاش حدث سنة (1019هـ/ 1610م)، ما يعني أنه عاش بعد هذه الفترة، لكن الإشكال الكبير حينما نجد أن هذا الشخص ينسب في آخر سير التواريخ كل العناوين إلى ابن مداد، مع أن ذلك غير مقبول تماما، على الأقل من جانب التواريخ. وبهذا يظهر ما كنا نعاني منه منذ بداية تحليلنا لكتاب "سير علماء الإباضية"، أن عبارات العناوين، ونسبة السير لأصحابها فيها إشكال عميق، فالذين يدرجون نصوصا جديدة، ويقحمون تحليلاتهم، ويشرحون العبارات والمواقف، ثم في الأخير لا يشيرون إلى وجود هذا، ويعتقدون أن جهدهم لا ينبغي أن يظهر، وإنما ينسب كل شيء إلى صاحب السيرة الأصلية، فهنا لب الإشكال.

وربما قد يكون هؤلاء الذين يتصرفون في النصوص معذورون لأننا لا نملك النسخ الأصلية لأعمالهم، لكن الإشكال في الدارسين المعاصرين الذين يمرون على أمثال هذه الإشكالات الواضحة، ويغضون الطرف عن الوقوف عندها، وإجراء جهود في الكشف عن خبايا النصوص، فنجدهم يسارعون إلى ترصيع أغلفة

1) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 587.

المصادر بلفظة: المحقق، والمراجع، وهم لم يقدموا أي توجيه فيما اعترضهم ويعترض كل قارئ للنص الذي قاموا بإخراجه وطباعته، وكان يفترض من هؤلاء الدارسين على الأقل أن يستعملوا عبارة "منسوب إلى فلان"، عوض تأليف فلان.

– ويختتم كتاب "سير علماء الإباضية" بإيراد عملين علميين؛ الأول بعنوان: **"باب معرفة الأيمة بعمان"**[1]، والثاني بعنوان **"ذكر الأحداث الواقعة بعمان"**[2]، ويلاحظ فيها تكرار ما قيل في السير السابقة، مما يثبت أن هناك كتابا كثيرين للسير الخاصة بالتواريخ، ثم جاء من جمع إنتاجهم دون أن يشير إلى جهدهم، ودون أن يظهر أسماءهم. ولا يخفى أنما يقال على هذه السير التي أوضحت لنا الغامض بيسر، يعمم على كل السير الواردة في المجموع.

– ومن المفيد أن نشير إلى أن آخر تاريخ مذكور في كتاب "سير علماء الإباضية" كان في ذيل آخر عنوان، وقيد هكذا: "تمت السيرة ... وكان ذلك ...(1175هـ/ 1762م)". وغير مستبعد أنه تاريخ خاص بالنسخ.

18– إذا تتبعنا الكتب البارزة عند الإباضية، والصحيحة النسبة إلى أصحابها دون مراء ولا شك، والتي اعتمدت السير العمانية في تألفيهم بشكل ملفت للنظر، لا أتصور أن نجد أحسن من كتاب الشيخ السالمي (1332هـ/ 1914م)، الذي سمى عمله العلمي بما يتوافق ومحتواه، فاختار له تسمية: "تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان"، فيجدر بمن يبحث عن قيمة كتاب "سير علماء الإباضية"، أن يجري قراءة

1) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 587.

2) سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية العمانية، 587.

حول كيفية تعامل الشيخ معها، ويستخلص وجهة نظره لها، ويقارن بين توظيفه لسير الأقدمين وسير المحدثين في كتابه، وهذا بغرض تأكيد فرضياتنا السابقة أو نقضها، وفي هذا السبيل نقدم جملة من المعطيات في ذلك.

– لقد تعامل الشيخ السالمي مع كتاب "سير علماء الإباضية"، ووظف مجموعة من السير المنسوبة إلى السلف، وصرح بذلك في مقدمته قائلا: "فتتبعت ما أمكنني تتبعه من كتب السير والآثار"[1]، فضلا على أنه عثر في مكتبته على نسخة من مخطوط "سير علماء الإباضية"، حتى صار يطلق عليها الآن النسخة السالمية[2].

– نحاول أن نسرد مجموعة إحالات الشيخ السالمي إلى السير الواردة في جزئه الأول ليسهل علينا الإجابة عن السؤال التالي: هل تفطن الشيخ السالمي للإشكالات الواردة في السير، وهل له إشارات إلى ذلك؟ أم أنه كان يعدها مادة علمية ثابتة الصحة إلى أصحابها؟

ونبدأ برصد أهم السير الواردة في الجزء الأول، مكتفين بما أشار إلى أنه من السيرة، مع بيان موضوع الاقتباس.

"سيرة خلف بن زياد البحراني": في أخذ أبي بكر الصدقة من أهل عمان[3].

"سيرة شبيب بن عطية": حول اتفاق المسلمين[4].

"سيرة أبي المؤثر": في ذكر من أخذ عنهم أهل عمان دينهم من الصحابة

---

1) السالمي: تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، 04.

2) راشد بن سعيد اليحمدي: السيرة المضيئة إلى أهل منصورة من بلاد السِّند، 07.

3) السالمي: تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، 86.

4) السالمي: تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، 102.

والثقات[1]، وفي الإمامة الإباضية الأولى بعمان[2]، وإمامة عبد الملك بن حميد[3]، ثم أكثر من الاستشهاد بها في إمامة الصلت بن مالك الخروصي وما حدث بعد عزله[4].

"سيرة مُحَمَّد بن محبوب": نهاية الإمامة الإباضية الأولى[5]، وفي مقتل عيسى بن جعفر[6]، ومقتل رجل من أهل بسيا[7]، وكتابه إلى أهل المغرب[8].

"سيرة أبي الحواري": في الإمامة الإباضية الأولى[9]، وفي مقتل عيسى بن جعفر[10]، وإمامة المهنا بن جيفر[11]، وإمامة عزان بن تميم وما بعدها[12]، والحكم على من عزل الإمام الصلت[13].

---

1) السالمي: تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، 82.
2) السالمي: تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، 85، 101.
3) السالمي: تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، 132.
4) السالمي: تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، 160، 205 – 212، 213 – 224، 229، 238، 239، 246، 253، 269، 275.
5) السالمي: تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، 93.
6) السالمي: تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، 117.
7) السالمي: تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، 191.
8) السالمي: تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، 246.
9) السالمي: تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، 90.
10) السالمي: تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، 116.
11) السالمي: تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، 156.
12) السالمي: تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، 242، 248، 255.
13) السالمي: تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، 268، 269.

"سيرة منير بن النير إلى الإمام غسان": مدح الإمام غسان[1]، الإشادة بسير الأوائل[2].

"رسائل محبوب بن الرحيل وهارون بن اليمان إلى الإمام المهنا بن جيفر": حول نقض كل صاحبه[3].

"سيرة هاشم بن غيلان إلى عبد الملك بن حميد": ذكر نص المراسلة بلفظها[4]، بلفظها[4]، نصائح هاشم وموسى بن علي إلى الإمام غسان[5].

"سيرة المهنا بن جيفر إلى معاذ بن حرب": حول بيان معالم الإسلام[6].

"عهود الإمام الصلت بن مالك": ذكر نص عهده إلى الغزاة في سقطرى[7]، وعهده إلى غسان بن جليد. [8].

"سيرة البسياني": في الإمامة الإباضية الأولى[9]، مبايعة الإمام عبد الملك بن حميد[10]، وفي عزل الإمام راشد بن النظر[11].

---

1) السالمي: تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، 68.
2) السالمي: تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، 130.
3) السالمي: تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، 155.
4) السالمي: تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، 136.
5) السالمي: تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، 137- 147.
6) السالمي: تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، 156.
7) السالمي: تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، 166- 181.
8) السالمي: تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، 181- 190.
9) السالمي: تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، 85.
10) السالمي: تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، 132.
11) السالمي: تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، 239.

"سيرة أبي قحطان": في إمامة الوارث بن كعب الخروصي[1]، وفي عزل الإمام راشد بن النظر[2]، وإمامة عزان بن تميم[3]، وفي غضب الفضل بن الحواري على مقتل موسى بن موسى[4]، وبعد عهد إمامة راشد بن النظر[5].

"سيرة الفضل بن الحواري": قبل إمامة مُحَمَّد بن أبي عفان[6]، حول الإمام الصلت وعزله، ثم تولية الإمام راشد بن النظر[7].

"سيرة الإمام سعيد بن عبد الله، ومن قبله من المسلمين إلى يوسف بن وجيه": توجيه الجند في القتال[8].

سير ورسائل من وإلى الإمام راشد بن علي: ومن شروط شرطها القاضي أبو عبد الله السري إلى الإمام راشد بن علي[9]، توبة الإمام راشد[10]، جواب من القاضي أبي عبد الله السري إلى الإمام راشد[11].

---

1) السالمي: تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، 112.
2) السالمي: تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، 237، 239.
3) السالمي: تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، 241.
4) السالمي: تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، 254.
5) السالمي: تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، 292.
6) السالمي: تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، 107.
7) السالمي: تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، 198، 224، 227.
8) السالمي: تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، 290.
9) السالمي: تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، 353، 357.
10) السالمي: تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، 331.
11) السالمي: تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، 333.

"نصائح الملك مُحَمَّد بن مالك": ذكر النص لثلاث نصائح[1].

وفي آخر الجزء الأول من كتاب الشيخ السالمي صار ينقل من سير ينتمي أصحابها المذكورون في العنوان إلى القرن الرابع وما بعده[2]، وقبل أن ينتهي الجزء الأول نقل مرتين من كتاب كشف الغمة[3] حول حكم بني نبهان.

– يلاحظ المتفحص لكتاب الشيخ السالمي أنه يعد السير معتمده الأول في التأريخ للإمامات الإباضية في عمان، وأنه كان ينقل بعض نصوصها حرفيا، مما يعطي صورة أولية عن قبوله لها، والاستئناس بما ورد فيها من دون اعتبار أي إشكال في نصها، ولا في صحة نسبتها إلى أصحابها.

– اعتمد الشيخ على عدد من السير وترك الكثير منها، وبعض ما نقل منه لديه أكثر من عنوان، لكن لم يوضح من أي العناوين بالضبط كان معتمده، مثل حال "سيرة أبي المؤثر".

– لم يشر مطلقا في كتابه إلى السير التي أظهرنا سابقا أن في عناوينها غموضا، أو إبهاما معرفيا، ولا ندري موقفه منها.

– حينما اعتمد الشيخ السيرة المتعلقة بأهل المغرب ذكرها بصيغة توحي بأنه ارتبك في أمرها، وهذا على خلاف كل ما كان ينقله عن السير المشرقية، إذ قال:

---

1) السالمي: تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، 346– 352.

2) مثل: سيرة الأزهر بن مُحَمَّد بن جعفر: ص 227، 249. وسيرة مُحَمَّد بن روح: 264، 268، 275، الإمام راشد بن سعيد إلى والي منح، ص 319، ومن بعض الكتب: ص 314، 315، 317، 319، 320.

3) السالمي: تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، 346– 352.

"ويدعي أن رووا له عن مُحَمَّد بن محبوب رحمه الله في كتابه إلى أهل المغرب"[1]، ونحسب أن قوله "ادعى أن رووا له"، لعلمه بأن ما كتب لأهل المغرب كان يفترض أن يدونوه في مصادرهم الموثوقة، ولما لم يكن الأمر كذلك، فأوردها بتلك الصيغة حتى لا يقع في تناقض معرفي، والشيخ السالمي رحمه الله عالم نحرير ومحقق لكل صغيرة وكبيرة ما استطاع إلى ذلك سبيلا.

– حينما وجد الشيخ تقييدا منضبطا لسيرة لم يتوان في أن يسجله كاملا، ليؤكد بذلك صحة ما ينقل منه، وليظهر أن التثبت هي الصفة اللازمة في التاريخ، فقال: "كتبه الفقير لله تعالى، علي بن مُحَمَّد بن علي بن عبد الباقي، وصلى الله على رسوله مُحَمَّد وآله وسلم. شهد بجميع ذلك، أحمد بن صالح بن عمر بن أحمد بن مفرج، وكتبه بيده، ووجد مكتوبا بخط الشيخ الفقيه، عبد الله بن مداد رحمه الله"[2]. ونفهم من ذلك، أن الشيخ إن لم يفعل ذلك قبل القرن التاسع الهجري، فلأنه لم يجد هذا الضبط من قبل.

– يلاحظ أن الشيخ السالمي حينما انتقل إلى الجزء الثاني من كتابه أخذ يظهر تحريه المعهود منه، كمحقق دقيق، وكمحدث حافظ، وبدأت تشاهد عباراته التي تنبئ أنه يتعامل مع نصوص موثوق بها، إذ صار يدلي برأيه في الاقتباس، ويظهر وجود الاتصال من عدمه في النقل، وفي المقابل تخلى عن ظاهرة السرد تباعا دون بيان وجهة نظره حول الإشكال الوارد في نسبة الأعمال لأصحابها، ودون تقديم وجهة نظره حول المصدرية التي يعتمدها، ولعل هذه النقول توضح كلامنا.

---

1) السالمي: تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، 246.

2) السالمي: تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، 379.

ذكر الشيخ السالمي في آخر "سيرة سعيد بن مُحَمَّد بن عبد الله النزوي إلى أهل المغرب"، التي يشيد فيها بإمامة ناصر بن مرشد، ما يأتي: "وهذا كلامه، إلا ما حذفت منه للاختصار"[1].

ويقول الشيخ السالمي: "ووجدت عن أبي نبهان، وهو ممن لم يدرك عصر الإمام ناصر"[2].

ويقول أيضا: "وهذه نصيحة من الشيخ سعيد بن أحمد بن مُحَمَّد الخراسيني، لأحد الإمامين؛ ناصر بن مرشد، أو سلطان بن سيف، لم يعرف الناقل لأيهما كانت"[3].

وعلق الشيخ السالمي على من أرسل رسائل يمتحن بها أصحابه الإباضية، قائلا: "ولغز المخالف المذكور، يدل على شدة جهله، وسوء طويته من وجوه:..."، ثم أخذ في الجواب على لغز السائل.

حينما أورد تعقيبا لبيت شعري من قصيدة "راشد بن خميس الحبسي"، سمى الشيخ السالمي المعلق باسمه الكامل، فذكر: "قال كاتب الترجمة، وهو سليمان بن بلعرب بن عامر بن عبد الله بن بلعرب بن عبد الله بن بلعرب، الذي هو من بني مُحَمَّد بن سليمان العقري النزوي العماني..." [4].

استشهد الشيخ السالمي بوصف الشيخ علي بن ناصر الريامي "لحصن جبرين"،

1) السالمي: تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، 2/ 24.
2) السالمي: تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، 2/ 26.
3) السالمي: تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، 2/ 72.
4) السالمي: تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، 2/ 93.

ثم علق عليه قائلا: "قلت ولعله أراد بالتصاوير تصاوير الأشجار..." [1].

وتساءل الشيخ السالمي عن البيتين اللذين كتبهما الشاعر الذي وصف "حصن جبرين"، فجاء كلامه هكذا: "وسألت عن البيتين، فقيل لي: إنهما كتبا على القبر، وعلى غير موضع من القصر"، ثم علق على من كذب الخبر وعارض تخزين المال عن الورثة: "قلت وأيضا، ففي خزنه تضييع لزكاته"[2].

وحول رثاء الإمام سيف بن سلطان ذكر الآتي: "ورثاه مُحَمَّد بن صالح المنتفقي البصري، ساكن الصير، بقصيدة لم نظفر بجميعها، وإنما وجدنا منها قطعة لا تخلو من تحريف، وهي هذه"[3].

ومن تعليقاته المهمة التي رصع بها أحداث الجزء الثاني من كتابه، وتدل على ضبطه الدقيق للمصادر التي اعتمدها، قوله: "مرة أخرى، على معنى ما يقتضيه كلام بعض المؤرخين، فإن سياق التواريخ يقتضي أنه بويع له مرتين"[4].

وعند حديثه عن إمامة أحمد بن سعيد البوسعيدي أتحفنا الشيخ السالمي بتعليق له أكثر من دلالة، قال فيه: "وعقدوا الإمامة عند ذلك لأحمد بن سعيد البوسعيدي، كذا وجدته في سيرة منقطعة من أولها، ولا تخلو من تخليط". ولا أبالغ

---

1) السالمي: تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، 2/ 98.

2) السالمي: تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، 2/ 99.

3) السالمي: تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، 2/ 108.

يلاحظ أن الشيخ السالمي عرض جزءا كبيرا من الأحداث، ولم يظهر أي مصدر لكلامه، وهذا على خلاف ما سلكه في بداية هذا الجزء، إذ لم يشاهد له تعليق حتى وصل إلى إمامة سلطان بن مرشد بن عدي اليعربي، حين قال: "فيما انتهى إلينا علمه". انظر: السالمي: تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، 2/ 122- 160.

4) السالمي: تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، 2/ 170.

إن قلت كنت أنتظر من الشيخ أمثال هذه التعليقات المهمة في الجزء الأول من كتابه، أو أقل من ذلك عند اعتماده سيرا من كتاب "سير علماء الإباضية"، لكنه لم يفعل هذا وللأسف، ولا أحسب أن هذا راجع إلى ما يقره الشيخ في المصداقية الكبيرة التي تنتاب هذه السير، وإنما أرجح أن الشيخ السالمي لما لم يكن له بديل علمي آخر غير السير، أسر الملاحظات في نفسه ولم يبدها، وعزاؤه أنه حينما أخذ يتعامل مع مصادر أكثر دقة، ومادة علمية زاخرة من مختلف الأوعية، وفي أحداث قريبة من عهده، غيَّر نمط عرضه، فصار لا يمر على النصوص دون أن يعلق على مصدرها، وما سقناه من تعليقاته يشهد على ما ذكرنا. وأتصور بهذا التحليل ينبغي أن يقرأ إعراض الشيخ عن التعليق على أمثال بعض الإشكالات التي أثرناها نحن في مقالنا هذا حول كتاب "سير علماء الإباضية"، والله أعلم.

ثالثا: قراءة في كتاب، سير علماء الإباضية، نسخة مكتبة الشيخ لعلي، ببني يزقن

عثرنا على نسخة مغربية لكتاب "سير علماء الإباضية"، وهي محفوظة في خزانة الشيخ صالح بن عمر بن داود لَعْلي ببني يزقن، (رقم الحفظ في الخزانة: م199)، وقد احتمل المفهرس للخزانة أن ناسخه من علماء القرن (8هـ/ 14م) بوراجلان[1]، وعنوان هذه النسخة هو:

"**هذا الكتاب مجموع من أثار ذوي الألباب المهتدين للسنة والكتاب المفارقين لأهل الشك والارتياب**"[2].

فمن العنوان يظهر جليا أننا أمام نصوص لها جامع تولى ترتيب السير وجمعها، إذ يقول: "وإنا قليلو المعرفة والفهم، ضعيفو الرأي والعزم لقلة حفظنا لأثار المسلمين، وكثرة شغلنا عن التفقه في الدين، غير أنا سردنا في كتابنا هذا ما نحفظ من الآثار ونعرفه عن العلماء الأخيار الأتقياء الأبرار، فاعرضوه على أثار أيمتكم الصالحين، وندبره [كذا] على أصول سلفكم الماضين. /57و/ فإن كان حقا فذلك من الله الذي منَّ به، ووفقنا لنظمه ومطلبه، وإن كان خطأ فلا تأخذوا به، وإنا نستغفر الله منه ومن العمد والجهل والخطأ والنسيان والزيادة في القول

1) لا أوافق المفهرس (بوراس يحي) على هذا التاريخ، فالنسخ قديم حقا، لكن لا يرجع إلى كل هذه الفترة، فيظهر أنه من ق10 و11هـ عصر تأليف الموسوعات التاريخية والفقهية، وعصر المنافسة بين المسلمين. انظر: فهرس مكتبة الشيخ صالح لعلي، بني يزقن، الجزائر.

2) مجموع من أثار ذوي الألباب، 56ظ.

والنقصان"[1]:

فتبين من النص أعلاه أن السير لها جامع واحد، وغير مستبعد أن له دور في الإضافة والزيادة في النص، وربما التأليف، ولعل النص التالي يظهر هذه الظاهرة، إذ يقول: "غير أنا سردنا في كتابنا هذا ما نحفظ من الآثار ونعرفه عن العلماء الأخيار الأتقياء الأبرار"، فتبين مما لا مجال للشك من خلال هذا العنوان لنسخة قديمة أن الجامع حفظ نصوصا ونقلها، وهو ما يتطلب جهدا في التحري وتوضيح الإثراءات الواقعة داخل نص الكتاب.

ويبقى السؤال الذي نرغب أن نجد له جوابا مقنعا، هل من الممكن معرفة الحجم الذي أسهم به هذا الجامع في تحرير نصوص السير؟

للوصول إلى إجابة تقريبية تتبعنا السير الواردة في هذه النسخة، فوجدنا أن هناك سيرا غير معنونة، لكن بمقابلتها مع السيرة السيفية مثلا عثرنا على عنوانها، وهذا الأمر يجعلنا نحتمل أن الذي قام بجمع سير "النسخة السيفية" هو الذي وضع بعض العناوين لبعض السير، واختار لها أسماء ذات دلالة تاريخية، حسب ورودها في النص، ولذلك فإن تلك العناوين لا تعني أن من ذكر فيها هو الذي ألف السيرة، أو هو الذي أرسل الرسالة، وإنما قصارى ما تعنيه أنها تتضمن أقوال ذلك العالم، أو تشرح نص الرسالة المقتضبة التي أرسلها ذلك العالم ذات يوم، علما أن النص الأصلي لتلك الأعمال لم يعد موجودا إلى حد هذه الساعة.

والشيء الملاحظ أيضا في هذه النسخة ورود عبارات بقدر غموضها، بقدر ما نراها تثبت فرضياتنا فيما ذكرناه من أول البحث على أن هناك من تدخل –جامع

1) مجموع من أثار ذوي الألباب، 56ظ.

السير مثلا- بالزيادة والإضافة والتأليف، ونمثل بما ورد في "**سيرة هلال بن عطية الخراساني رحمة الله عليه** (ت: 134هـ/ 752م)"[1]، وهو قوله: "**قال أبو سعيد**"، و"**رجع**"، و"**في نسخة**"، فهي بلا مراء توحي بتدخل الجامع بالزيادة والإضافة في الكتاب.

ومما يلاحظ أيضا في المخطوط المحفوظ في خزانة الشيخ لعلي أن به حديثا عن شيوخ المغاربة، تحت عنوان: "**تسمية شيوخ نفوسة: أهل العلم، والديوان، والحلق، والتلاميذ رحمه الله: أبو خليل صال من أهل إدركل** (ق: 3هـ / 9م)..."[2]، وهذا يتطابق قليلا مع مجموعات السير المشرقية التي تضم سيرا خاصة بعلماء المشارقة، كسيرة ابن مداد، ويتناسب معها أيضا في أنه ذكر الأعلام في آخر الكتاب. ولذلك لا نستبعد أن هناك تأثرا وتأثيرا بين الجامعَين أو بالأحرى بين المؤلفَين.

وبهذا يظهر أن السير الحالية ليست إلا تأليفا من المتأخرين، عالج النص الأصلي وأضاف فيه وحوره، وأبقى على العنوان الأصلي دون تغيير.

---

1) مجموع من أثار ذوي الألباب، 56ظ – 87و. ونشير إلى أن هلالا كان قائدا للإمام الجلندى بن مسعود، وأن هذه السيرة لم يذكرها البرادي في رسالتيه حول التآليف (داخل الجواهر المنتقاة، ولا الرسالة المستقلة)، ولم تورد ضمن فهارس نسخ "سير علماء الإباضية" التي جمعها سلطان الشيباني. انظر: السيرة المضيئة، 7 – 123، ولم يتحدث عنها السالمي في اللمعة المرضية. ولكن مع ذلك أشك أن نصها مبثوث في سيرة من سير كتاب "علماء الإباضية" النسخة السَّيفية العمانية، فليتأمل.

2) مجموع من أثار ذوي الألباب، 124و.

رابعا: ملاحظات على تاريخ النسخ للسير الواردة في النسخة العتيقة

ورد في كتاب السيرة المرضية وصف لسيرة، ذكر أنها تنسب إلى القرن السادس الهجري (531هـ/ 1137م)[1]، وهو اكتشاف في الظاهر يحسب له كل حساب، لكن السؤال المتبادر، هل هذا التاريخ المقصود به تاريخ نسخ المخطوطة، أم هو لشيء آخر؟

اعتمد الباحث الذي طبع فهارس لمجموعة سير على القول بتاريخ النسخ من خلال تقييد ورد في آخر نسخة دار المخطوطات بوزارة التراث والثقافة المحفوظة برقم: 1697، وسماها "العتيقة" تعبيرا عن وصف قدمها. لكن هذا التقييد لهذا التاريخ –على حسب ما ذكره في الكتاب المطبوع– لا يطمئنني بأنه يشير إلى تاريخ نسخ المخطوطة، وذلك لعدة أسباب، منها:

– من تتبع ما ورد في التقييد المستفاد منه التاريخ لا يفهم بالضرورة أن الأمر يتعلق بتاريخ النسخ، لأن النص الذي أمامنا فيه بتر، وفيه ذكر أن الكتاب عبارة عن منتخب ومختصر.

والاختصار يُفترض ألا يكون إلا لأصل مطول، ومن هنا تأتي الأسئلة المعهودة في التحقيق، أين عبارات النص الأصلي، من النص المختصر؟ وهل صاحب الاختصار له إضافات من عنده كما هو معهود في التأليف العماني على الأقل؟ ولذلك يصعب الجزم بحكم في عمل ليس لنا عنه معلومات كافية.

– العبارة الواردة في التقييد تتضارب بين صيغة المتكلم، وصيغة الغائب، ففي

1) السيرة المرضية: 112.

الحديث عن الاختصار، جاءت عبارة "انتخبتُ واختصرتُ"[1]، وحين الحديث عن تاريخ النسخ، وردت العبارة بصيغة الغائب: "وفرغ نسخه الثلاثاء قبيل الظهر [...] من جمادى الأولى سنة: أحد وثلاثين وخمس مئة (531هـ/ 1137م) [2]"، ولا يخفى أن تغير الأسلوب مؤذن بمفارقة في النص، مما يستدعي التحري أكثر.

– ينبغي أن يتحرى جيدا في الأوراق التي يلحقها تاريخ النسخ، هل كل الحزمة، أم بعضها، ذلك لأن المفهرس يذكر هذه النسخة قائلا: "ومحتواها مجموع سير وجوابات متناثرة، بعضها مكتمل، وأكثرها متفرق غير تام"[3].

وبناء على ما مر أستبعد أن تكون مخطوطة بهذه القيمة ومحفوظة في دار المخطوطات بوزارة التراث، ولا ينتبه إليها ولا تعطى لها الرعاية الكافية باعتبارها أقدم مخطوطة عمانية، ربما على الإطلاق. وأتصور أن قراءة تاريخ النسخ الوارد في "للنسخة العتيقة" يحتاج إلى مزيد تأمل وتمحيص، والله أعلم.

1) السيرة المرضية: 112.

2) السيرة المرضية: 112.

3) السيرة المرضية: 112.

الخاتمة

خلص البحث إلى مجموعة استنتاجات، هذه أهمها:

– يضم كتاب "سير علماء الإباضية" مجموعة من الأعمال العلمية؛ بعضها تم نقلها حرفيا من بعض المصادر، وأغلبها عبارة عن تهذيب وتحوير لأقوال ومواقف وقضايا تنسب إلى علماء الإباضية من القرن الأول إلى القرن التاسع الهجري – عهد البرادي–، ثم جاء من صاغها في أسلوب مسترسل، وتولى جمعها في كتاب واحد مع الحفاظ على العناوين الأولى للرسائل والكتب –علما أن أصلها يعد حاليا من المفقودات–ولا نستبعد أن تكون الزيادات قد حدثت في كتاب السير بداية من عهد "ابن مداد"، أو من بعده.

– نقر أن ظاهرة التأليف بمنهج شرح المتأخرين لكلام المتقدمين ونسبة كل ذلك إليهم، تعد ظاهرة متداولة بين المسلمين بكل أطيافهم؛ سنة وشيعة، وإباضية، مما يستدعي إجراء مراجعة دقيقة للتراث الإسلامي، والتخلي عن منهج الاستعراض بين المذاهب الإسلامية، والتحلي بمنهج إرجاع النصوص إلى أهلها ليتسنى التفاهم بينهم وقبول بعضهم، على شاكلة ما كان عليه الناس في العهد الأول.

– ما تداولته بعض المصادر الإباضية التاريخية حول أحداث عثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما لا يعوَّل عليه، ولا يصح أن يؤخذ منه أي حكم عقدي، ويصح أن تعمم هذه النتيجة على ما دار من خلاف حول أحداث الإمام الصلت بن مالك الخروصي بعد عزله من الإمامة، لأن ما كتب في الموضوع لا يرجع إلى سلف الإباضية، وإنما يرجع إلى المتأخرين، أو إلى من يحسب على معارضي التيار الإباضي الأصلي.

المصادر والمراجع

ابن أبي الحديد (ت: 656هـ/ 1258م):

1- **شرح نهج البلاغة**، تحقيق: مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه.

ابن ادريسو مصطفى:

2- **الفكر العقدي عند الإباضية**، جمعية التراث، القرارة، غرداية، 2003.

3- **التواصل المعرفي للمعارضة الإباضية في المشرق والمغرب خلال القرون الثلاثة الهجرية الأولى**، مجلة المنهاج، العدد2، ربيع الأولى 1434هـ/ 2013م، جمعية أبي إسحاق إبراهيم اطفيش لخدمة التراث، غرداية، الجزائر.

4- **العقيدة الإسلامية بين الراجح والمرجوح، دراسة تطبيقية من خلال كتاب "برهان الحق"**، المطبعة العربية، بني يزقن، غرداية، 2018.

5- **السيرة النبوية في العهد المكي، مراجعة معرفية وحديثية، مع إجراء تطبيقات للقاعدة الحديثية الجديدة "حد النص التابع للسند"**، مطبعة الآفاق، بني يزقن، غرداية، 2018.

ابن الصغير (ق3هـ/ 9م):

6- **أخبار الأيمة الرستميين**، تحقيق مُحَمَّد ناصر، وإبراهيم بحاز، ط1، المطبوعات الجميلة، الجزائر، 1986م.

ابن سعد، أبو عبد الله مُحَمَّد (ت: 230هـ/ 845م):

7- **الطبقات الكبرى**، تحقيق: مُحَمَّد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1990م.

ابن قتيبة الدينوري (ت: 276هـ/ 889م):

8- **عيون الأخبار**، دار الكتب العلمية، بيروت، 1418هـ.

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل (ت: 774هـ/ 1372م):

9- **البداية والنهاية**، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، 1408هـ/ 1988م.

أبو الليث السمرقندي (373هـ/ 983م):

10- **تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين**، تحقيق: يوسف علي بديوي، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط3، 2000م.

أبو زكرياء الوارجلاني، يحي بن أبي بكر (ق5هـ/ 11م):

11- **السيرة وأخبار الأيمة**، تحقيق: عبد الرحمن أيوب، الدار التونسية للنشر، 1985.

أحمد بن حنبل:

12- **الرد على الزنادقة والجهمية فيما شكت فيه من متشابه القرآن، وتأوَّلته على غير تأويله**، دراسة وتحقيق: دغش بن شبيب العجمي، غراس للنشر والتوزيع، الكويت، 2005.

البرادي، أبو القاسم بن إبراهيم (ق 8هـ):

13- **الجواهر المنتقاة بما أخل به كتاب الطبقات**، مخطوط مصور، بحوزة مكتبة الشيخ أبي إسحاق إبراهيم اطفيش، غرداية.

14- **الجواهر المنتقاة بما أخل به كتاب الطبقات**، مطبعة مُحَمَّد يوسف الباروني، القاهرة، 1302هـ.

15- **الجواهر المنتقاة**، صححه وقدم له وعلق عليه: أحمد بن سعود السيابي، دار الحكمة، لندن، 2014.

16- **رسالة المؤلفات**، مخطوط ضمن مجموع بمكتبة الشيخ ازبار، بني يزقن.

البزار، أبو بكر أحمد العتكي (ت: 292هـ/ 905م):

17- **مسند البزار**، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، 1988.

البلاذُري (279هـ/ 892م):

18- **أنساب الأشراف**، تحقيق: سهيل زكار، ورياض الزركلي، دار الفكر، بيروت، 1417هـ/ 1996م

الدرجيني، أبو العباس أحمد بن سعيد (670هـ/ 1271م):

19- **طبقات المشايخ بالمغرب**، حققه وقام بطبعه: الشيخ إبراهيم طلاي، ط2، مزيدة ومنقحة، د.ت.

الذهبي، مُحَمَّد بن أحمد (ت: 748هـ: 1347م):

20- **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1407هـ/ 1987م.

21- **سير أعلام النبلاء**، أشرف على التحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة بيروت، 1993م.

السالمي، نور الدين عبد الله (ت: 1332هـ/ 1914م):

22- **تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان**، مكتبة الإمام نور الدين السالمي، عمان، 2000.

القلهاتي، أبو عبد الله مُحَمَّد بن سعيد (ق6هـ):

23- **الكشف والبيان**، تحقيق وشرح: سيدة إسماعيل كاشف، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، 1980.

المجلسي، مُحَمَّد باقر (ت: 1110هـ/ 1698م):

24- **بحار الأنوار**، مؤسسة الوفاء، بيروت، لبنان.

المسعودي، أبو الحسن على بن الحسين (ت: 346هـ/ 957م):

25- **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، تحقيق: أسعد داغر، دار الهجرة، قم، 1409هـ.

النويري (ت: 721هـ/ 1321م):

26- **نهاية الأرب في فنون الأدب**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1424 هـ/ 2004م.

الهيثمي، نور الدين (ت: 735هـ/ 1335م):

27- **بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث بن أبي أسامة (ت: 282هـ/ 895م)**، تحقيق: حسين أحمد صالح الباكري، مركز خدمة السنة والسيرة النبوية، المدينة المنورة، 1992.

بدرية بنت علي بن جمعة الشعيبي:

28- **عائلة آل مداد العلمية، الشيخ مُحَمَّد بن عبد الله بن مداد الناعبي نموذجا**، مجلة المنهاج، مجلة المنهاج، العدد 4، محرم 1437هـ/ أكتوبر 2015م، جمعية أبي إسحاق إبراهيم اطفيش لخدمة التراث، غرداية، الجزائر

جمعية التراث، لجنة البحث العلمي:

29- **معجم أعلام الإباضية**، من القرن 1هـ إلى القرن 15هـ، قسم المغرب، جمعية التراث، القرارة، غرداية، 1999.

راشد بن سعيد اليحمدي العماني:

30- **السيرة المضيئة إلى أهل منصورة من بلاد السِّند**، اعتنى بها: سلطان بن مبارك بن حمد الشيباني، ذاكرة عمان، عمان، 2015.

عبد الرحمن السالمي:

31- **السير العُمانية كجنس أدبي**، مجلة نزوى، العدد 19، يوليو، 1999م، سلطنة عُمان.

عبد الملك بن حسين العصامي المكي (ت: 1111هـ/ 1699م):

32- **سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي**، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي مُحَمَّد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م.

علماء وأيمة عمان:

33- **سير علماء الإباضية**، مخطوط مصور بحوزة مكتبة الشيخ أبي إسحاق إبراهيم اطفيش، تاريخ النسخ: 1175هـ.

34- **السير والجوابات**، تحقيق وشرح: سيدة إسماعيل كاشف، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، 1986.

علي بن أبي طالب (ت: 40هـ/ 661م):

35- **نهج البلاغة**، جمع الشريف المرتضى (ت: 436هـ/ 1044م)، تحقيق: مُحَمَّد عبده، دار المعرفة، بيروت، لبنان،

مجموعة من الباحثين:

36- **معجم أعلام الإباضية**، قسم المشرق. سلطنة عمان.

37- **معجم مصطلحات الإباضية**، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، سلطنة عمان، 2008.

مجهول:

38- **مجموع من أثار ذوي الألباب المهتدين للسنة والكتاب المفارقين لأهل الشك والارتياب**، تاريخ النسخ: القرن الثامن الهجري بوارجلان، مكتبة الشيخ صالح بن عمر بن داود لَعْلي، ببني يزقن، رقم الحفظ في الخزانة: م199.

مكتبة الشيخ لعلي (ت: 1347هـ/ 1928م):

39- **فهرس مكتبة الشيخ صالح لعلي**، بني يزقن، إعداد: بوراس يحي، وبنقة أيوب، 2000م.

ناصر مُحَمَّد:

40- **منهج الدعوة عند الإباضية**، ط2، مزيدة ومنقحة، جمعية التراث، القرارة، غرداية، 1419هـ/1999م.

نصر بن مزاحم المنقري (ت: 212هـ/ 827م):

41- **وقعة صفن**، تحقيق: عبد السلام مُحَمَّد هارون، المؤسسة العربية الحديثة للطبع، 1323هـ.

عناصر البحث

المقدمة 1

أولا: قراءة في عناوين السير الواردة في كتاب السير والجوابات 5

ثانيا: قراءة في كتاب، سير علماء الإباضية، النسخة السَّيفية بعمان 15

ثالثا: قراءة في كتاب، سير علماء الإباضية، نسخة مكتبة الشيخ لعلي، ببني يزقن.... 93

رابعا: ملاحظات على تاريخ النسخ للسير الواردة في النسخة العتيقة 97

الخاتمة 99

المصادر والمراجع 101

عناصر البحث 107

اكتشفت الدراسة أن هناك إشكالا عميقا يتعلق بصحة نسبة السير إلى أصحابها في المخطوط الموسوم بـ "سير علماء الإباضية"، ذلك أن المتأخرين كانوا يدرجون نصوصا جديدة في السير، ويقحمون تحليلاتهم الخاصة، ثم لا يشيرون إلى عملهم هذا، ويفضلون أن ينسب كل شيء إلى صاحب السيرة الأصلية، ومن هنا ظهر عمق الإشكال الذي يدرسه هذا الكتاب.

وربما يكون هؤلاء الذين يتصرفون في النصوص معذورين لأننا لا نملك النسخ الأصلية لأعمالهم، لكن الإشكال في الدارسين المعاصرين الذين يمرون على أمثال هذه الإشكالات الواضحة، ويغضون الطرف عن الوقوف عندها، وعن إجراء جهود في الكشف عن خبايا النصوص، فنجدهم يسارعون إلى ترصيع أغلفة المصادر بلفظ: المحقق، والمراجع، دون أن يقدموا توجيها عميقا فيما اعترضهم ويعترض كل قارئ للنص الذي قاموا بإخراجه وطباعته، وكان يفترض من هؤلاء الدارسين على الأقل أن يستعملوا عبارة "منسوب إلى فلان"، عوض تأليف فلان.

وهذا العمل يسعى أن يثبت أن مخطوط "سير علماء الإباضية" يضم إشكالات حول صحة نسبة السير إلى أصحابها، فيتفطن الدارسون إلى هذا، ويعمل المحققون جاهدين لاستخراج النص الأصلي للكتاب.

مطبعة الآفاق غرداية - الجزائر
ISBN 978-9931-496-37-3 ردمك
9789931496373